حجر الزاوية

مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

العدد الثاني · آب 2018



المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites

حجر الزاوية

العدد الثاني

آب 2018

حجر الزاوية
مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

محرر علمي: د. وليد أطرش

محرر اللغة العربية: د. شكري عراف

محررة اللغة الإنجليزية: د. راحيل كوديش-وشدي

مركزة الجهاز: هناء عبود

الجهاز الإداري: د. حمودي خلايلة
د. كميل ساري
رافع أبو ريا
عنان عزب
أمير مزاريب
عيديت ميدان

صورة الغلاف الأمامي: بيت شامي في كفر كما، خان ومركز سياحي تربوي (تصوير: زهير تحاوخو)

صورة الغلاف الخلفي: بيسان، كنيسة السيدة ماريا، فسيفساء دولاب الأبراج (تصوير: د. وليد أطرش، سلطة الآثار)

طباعة وتدقيق: رنين فران

تصميم الطباعة: د. وليد أطرش

طباعة: أبو رحمون عكا
© حقوق الطبع محفوظة لسلطة الآثار
ص.ب 586، القدس 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

الفهرس

كلمة مديرعام سلطة الآثار **4**
يسرائيل حسون
تحية المجلس لحفظ مواقع التراث في إسرائيل **4**
عمري شلمون
قلعة ديرحنا **5**
أمير مزاريب - المجلس لحفظ مواقع التراث في إسرائيل
د. كميل ساري – سلطة الأثار
خان الجسر وجسر المجامع **10**
د. وليد أطرش وإيلان فحيمة – سلطة الأثار
من خان للطرق إلى مركز سياحي – تعليمي: بيت شامي في كفركما
زهير تحاوخو
مقبرة لجنود مماليك في يافا **19**
د. يوسي نجارو د. يوآف أربيل – سلطة الأثار
الباب الحصين للأرض المقدسة: «بوابة القدس» في يافا العثمانية 24
د. يوآف أربيل وليور روخبرغر – سلطة الأثار
الكنائس والأديرة في الفترة البيزنطية والإسلامية المبكرة في مدينة بيسان (نيسا سكيتوبوليس) 30
د. وليد أطرش ود. غابي مزور – سلطة الأثار
جنود مرتزقة يونانيون في أواخر العصر الفارسي في عكا **38**
أماني أبو حميد – سلطة الأثار
فيلا من أواخر الفترة الرومانية في اللد:
أرضيات الفسيفساء الرائعة التي تمّ اكتشافها في سنوات 1996 - 2014 **43**
د. أمير كورزلزني – سلطة الأثار
الشامانية – المطبّبة بالسحر، من الجليل الأسفل 49
د. ليؤر غروسمان - الجامعة العبرية
نهر الأردن ما قبل التاريخ بخروجه من وادي الحولة مليون سنة الأولى **54**
د. غونين شارون - الكلية الأكاديمية تل حاي
مختبر سلطة الآثار لتحليل مصادر الطين الفخاري (البتروغرافي) 62
د. عنات كوهين واينبرغر – سلطة الأثار



كلمة مديرعام سلطة الآثار

السلام عليكم،

التحية القلبية لجمهور القراء والشكر الجزيل للروّاد، محرّري هذه المجلة.

تفتخر سلطة الآثار الإسرائيلية المؤسسة المهنية الرائدة والمسئولة عن الآثاروالمواقع الأثرية والحفاظ عليها بنشر قصة هذه الأرض في جميع طبقاتها التاريخية، بالتعاون مع الجمهور.

إننا نرى مهمّتنا كقائمين ومحافظين على الكنوز التابعة للمواطنين، ولأولئك الذين يحبّون الثقافة والعلوم في العالم، ما يجعلنا فخورين بمشاركة الجمهور الناطق بالعربية بهذه المجلة العلمية الأولى، وأملي أن نحظى بنشر أعداد كثيرة بعدها.

يسرّني استخدام هذه المنصة لدعوة أي شخص يرغب في المشاركة معنا بتجربة الحفر والكشف عن آثار بلادنا ليتّصل بنا، ونحن سنكون سعداء بالمشاركة.

نراكم في مواقع الكشف الأثري وعلى صفحات هذه المجلة.

شكرًا للمحررين ولكتاب هذا العدد، وشكرًا لمجلس الحفاظ على مواقع التراث الشريكة الصادقة لهذا المشروع.

مدير عام سلطة الآثار
يسرائيل حسون



تحية المجلس لحفظ مواقع التراث في إسرائيل

إلى القراء الكرام،

نتقدم بالتهنئة والتقدير لكافة العاملين في مجال إصدار مجلة «حجر الزاوية»، التي تعنى بثقافة الحفاظ على المباني وبناء البيئة في حياتنا، وتؤثر على القرارات المتعلقة بالتطوير وبلورة المشهد.

إن أهمية هذه المجلة، التي تصدر باللغة العربية، تكمن بأنها تقدّم لمجتمعات عديدة ومتنوعة، عالم الحفاظ على المباني التاريخية، وتطرح مزيدًا من المواضيع المتعلقة بالحفاظ على جدول أعمالنا.

شكرًا لجميع القائمين على المجلة، وفي مقدمّتهم الدكتور كميل ساري، المسؤول عن الآثار في المنطقة الشمالية في سلطة الآثار، وأمير مزاريب مدير لواء الأقليات في مجلس حفظ المواقع التراثية في إسرائيل.

مع تحيات
عمري شلمون
مديرعام

قلعة دير حنا

أمير مزاريب - المجلس لحفظ مواقع التراث في إسرائيل
د. كميل ساري – سلطة الأثار

تقع بلدة دير حنا إلى الشرق من سخنين (قرابة 6 كم) في الجليل الأسفل، جنوبي كرميئيل وشمالي مرج بيت نتوفا. يسكن في البلدة حوالي 10,200 مواطن، معظمهم من المسلمين، وتبلغ مساحة نفوذها حوالي 13,000 دونم. تقع القرية في منطقة تتكون بمعظمها من الحجر الجيري الصلب وصخور الدولوميت.

أصل تسمية البلدة غير واضح لقلة المصادر التاريخية، فمن الباحثين من يرجّح أنها سُميت وفقا لديرٍ من الفترة البيزنطية الذي كان في الموقع وهو نسبة لأحد الرهبان. بينما رأى آخرون أن الاسم يوافق لدير أو كنيسة كانا في الموقع، وهما نسبة إلى «حنة» والدة مريم العذراء، بينما يرجح البعض الآخر أنها حملت اسم أحد القواد الصليبيين.

كانت دير حنا في بداية الفترة العثمانية عبارة عن قرية مسيحية باسم دير حناط، ولكن على مر السنين سكنها المسلمون واستقروا فيها. كانت القرية في منتصف القرن الـ18 عاصمة ظاهر العمر الزيداني، حاكم الجليل، حتى احتلاله لعكا ونقل عاصمته إليها.

ذكرها الرحالة فيكتور جيرن الذي زار الموقع خلال القرن التاسع عشر: «بعد مروري عن الأراضي المزروعة شجر التين بدأت السير باتجاه التلة ومنحدرها القوي صعودا إلى دير حنا. رأيت آبار المياه القديمة. على قمة التلة رأيت سورًا قديمًا مبنيًا من الحجر حوله أبراج الحراسة وداخله مخازن وإسطبلات. هذا المُجمع بحالة رديئة وأجزائه مهدمة. استمريت في السير إلى القلعة التي بناها ظاهر العمر، وهي أيضا بحالة سيئة وأجزاءها مائلة إلى الانهيار، وفي جدرانها ثغرات كبيرة يمكن الدخول من خلالها إلى القلعة. عند دخولي رأيت إلى اليمين الجامع والسرايا التي كانت مقرّ الحاكم».

الحفريات والأبحاث الأثرية في دير حنا قليلة جدًا، وفي عام 1997 أجرت سلطة الآثار حفريات بأعقاب أضرار حدثت خلال أعمال تطوير. وقد أجريت الحفريات في الطرف الشرقي من البلدة وبالقرب من السور الشرقي للقلعة التي بناها ظاهر العمر في القرن الثامن عشر. كُشف بهذه الحفريات، عن أساس السور الذي أقيم على الصخر الطبيعي، وتم تحديد تاريخه وفقا للموجودات بأنه



شكل 1 - قلعة دير حنا. الواجهة الجنوبية



شكل 2 - قلعة دير حنا. الواجهة الجنوبية

يعود للقرن الثامن عشر، وهذا يتوافق مع المصادر التي تشير إلى أنها بنيت إبان فترة ظاهر العمر، كما عُثر خلال الحفريات، على قطع فخارية يعود تاريخها إلى الفترات: الفارسية (القرن السادس ق. م.)، الهيلينية (القرن الربع – الثالث ق.م)، الرومانية والبيزنطية (القرن الثالث والسادس م.). تدل تلك المكتشفات على أن بداية الاستيطان في دير حنا يعود إلى أكثر من 2500 عام قبل أيامنا، إلا أن بقايا الاستيطان من تلك الفترة لم يعثر عليها حتى الآن.

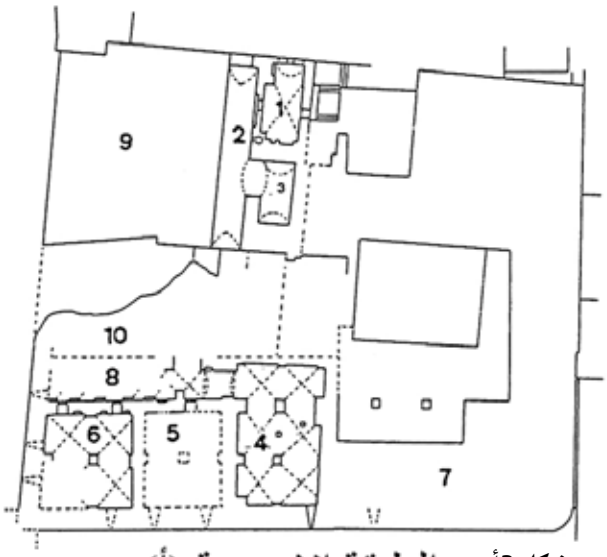
القلعة خلفية تاريخية

تقع القلعة في الزاوية الجنوبية الغربية من البلدة. بناها سعد العمر، أخ ظاهر العمر، قبل أكثر من 300 سنة. وأضيف في عام 1746 مسجد على الطراز العثماني في أسوار القلعة. ما تبقّى من القلعة مثير للإعجاب رغم الإهمال الذي حلّ بها (شكل 1، 2). تظهر في المكان بقايا أسوار وجدران تبرز فوق بيوت القرية، أقواس وبقايا أقبية مُزخرفة.

كتب صافي بن يوسف قصة القلعة: «كان العام 1732، وكان أخاه [لظاهر العمر]، سعد العمر، قد تقاسم معه حكم الجليل. كان مقرّ سعد هنا، في دير حنا، وأحاط القرية في السنة المذكورة بالأسوار والأبراج. وعلى رأس التلة بنى منزله الذي يحتوي على كثير من الأقواس، الأقبية، البُهي والقناطر. بالقرب من قصره - قلعته، قام ببناء مسجد حيث زيّن جدرانه بالحجارة البيضاء والصفراء في أفضل خيال لعمال البناء لديه».

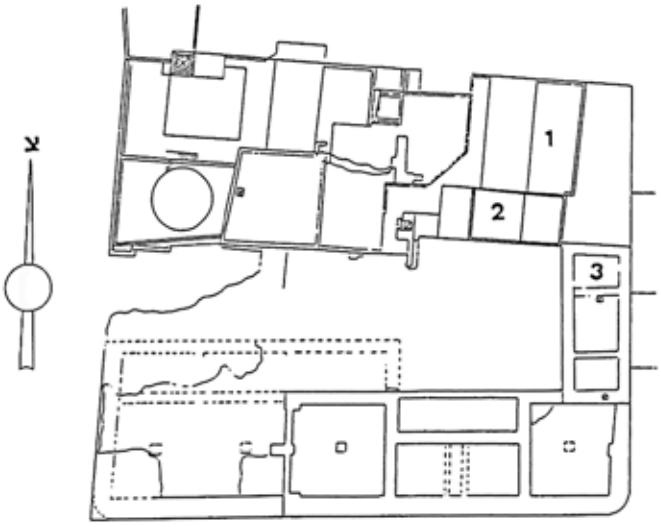
لا يُعرف بالضبط ما هو الأمر الذي أثار غضب الحاكم، ظاهر العمر. حيث تشير الأقاويل الى أنه أمر ابنه عثمان بقتل أخيه سعد، وفي المقابل سيحصل على شفاعمرو. جاء الابن إلى قصر عمّه في دير حنا وخنقه في ساعات الليل. لم يفِ الأب بوعده، لأسباب مختلفة حتى أنه أشاع على الملأ بأن أخاه قد توفي ليلاً نتيجة لدغة أفعى.

ومنذ ذلك الحين، لم يرتح ظاهر العمر من أولاده، لأن جميع أولاده الثمانية، ثاروا ضده، كل واحد بدوره، كما أن إحدى التمردات كانت متعلقة بقصر نصف السيف الذي يقع على رأس تلة القرية. احتل الأبناء علي وعثمان دير حنا من والدهم وأرسلوا إليه من هناك تهديدًا عنيفًا، بأنه يجب عليه الإيفاء بوعده للابن القاتل ومنحه شفاعمرو. وبصفته مؤمنا بمقولة «عاشق الحكم يقتل



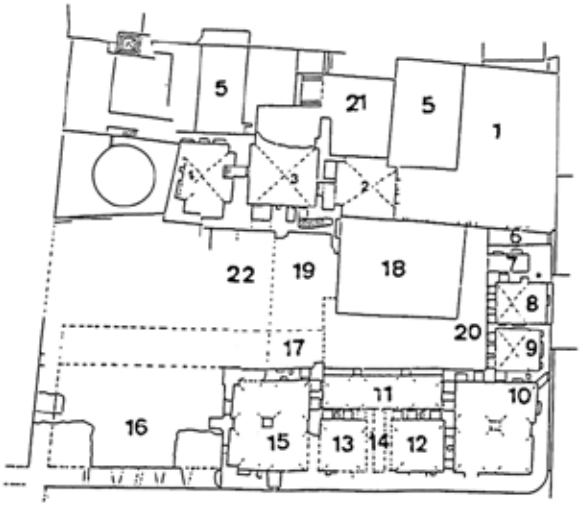
شكل 3أ الطبقة الارضية (أ)

1. غرفة حراسة. 2. ممر للساحة. 3. غرفة جانبية
4. مخزن شرقي. 5. مخزن مركزي. 6. مخزن غربي
7. مخزن كبير. 8. ممر. 9. مسجد. 10. ساحة سفلى.



شكل 3ج المصيف (ج)

1. بناء حديث. 2. اضافة حديثة.
3. غرفة تخزين الماء.



شكل 3ب طبقة السكن (ب)

1. غرفة. 2. لوان شمالي. 3. لوان مركزي. 4. غرفة.
5. بناء حديث. 6. ممر شرقي. 7. غرفة. 8. غرفة بئر ماء.
9. غرفة. 10.قاعة شرقية كبرى. 11. لوان. 12. قاعة شرقية
صغرى. 13. قاعة غربية صغرى. 14. بيت درج. 15. قاعة
غربية كبرى. 16. مركز عسكري. 17. غرفة. 18. ساحة علوية.
19. غرفة. 20. ساحة داخلية. 21. مدخل القصر. 22. ممر.

ولده»، خرج ظاهر العمر على رأس جيش من الفرسان، المدفعية، مستخدمي البنادق واللصوص وفرض حصارًا على أبنائه المتمرّدين في ديرحنا.

بينما كانت الأسرة المُقاتلة مُنشغلة بمقاتلة نفسها والمرتزقة في جيشها، جاء رسول إلى مخيم ظاهر العمروأبلغه بأن باشا دمشق، عدوه القديم، على وشك مهاجمته. قام الأب على الفور بإرسال رسول لأولاده المحاصرين وأمرهم بأن يقوموا بإعداد وجبة عشاء له ولبعض رفاقه الآخرين، لأن لديه أمرًا هامًا ليقوله لهم.

نفّذ «المتمردون» فعلاً ما أمرهم به والدهم عدوّهم، ولدى جلوس الجميع بهدوء لتناول وجبة العشاء في القلعة، أبلغ ظاهر العمر أبناءه بنبأ الحرب الوشيكة مع باشا دمشق. تقرر في مجلس الحرب الأُسري أن يهاجم الابن علي، المُحاصرعلى رأس فرسان ظاهر العمر الأب جيش العدوّ الدمشقي. عندما تخلص أبناء العائلة من عدوهم المشترك، عادوا لمواصلة القتال فيما بينهم.

وضع الرجل المسن نهاية هذا القصر، بعد أن قام أحمد الجزار بتصفية ظاهر العمر في العام 1775 وأصبح حاكماً لعكا. في هذه الأثناء، احتلّ ودمّر القلعة – القصر- المسجد في دير حنا. وهرب علي إلى لبنان ومن ثم إلى الجولان وقُتله في نهاية المطاف رجال باشا دمشق، وجاءت نهاية حكم هذه الأسرة.

مخطّط المجمّع من مسح سلطة الآثار

تُعتبر القلعة من أجمل المباني الإسلامية في تلك الفترة. يقع مجمّع الحصن داخل منطقة سكنية في قرية دير حنا. البقايا الموجودة من القلعة مُثيرة للإعجاب – بقايا الأسوار والجدران التي ترتفع فوق القرية، الأقواس وبقايا الخزائن المُزخرفة والقاعات الكبيرة. وكان التشديد على استخدام تقنية «الحجر الأبلق» على واجهات المبنى- مزيج من الحجر الدولوميت الأبيض والطبقات الفلورومية المتقطعة (شكل 3أ،3ب،3ج). تقع القلعة على منحدر صخري وهي ذات ساحتين مبنيتين على مستويين:



شكل 4 - قلعة دير حنا. الفناء الداخلي

الطابق الأرضي (السفلي) – ويشمل المسجد، الساحة ومباني الخدمات والتموين (شكل 4).

في الطابق الارضي– ساحة سفلية (رقم 10) حيث تقع في جنوبها أقبية كانت موجودة قبل بناء القصر (الغرف 5، 6) وأقبية جديدة، ترجع إلى فترة بناء القصر (4، 8). كانت الأقبية والمسجد مُتصلة بعضها ببعض في السابق، على ما يبدو، بواسطة سور (مُدمر اليوم) وأغلق المساحة التي بينهما، وشكّل جداراً للساحة من الجهة الغربية. كان المدخل للساحة السفلية من جهة الشمال عن طريق الغرفة رقم 2. تقع الغرفة رقم 1 بجانب المعبر، على ما يبدو كنت غرفة للحراس، الذين وفّروا الحماية للمداخل ولبئر الماء. يتم استغلال المباني في الجزء الشمالي من القلعة في هذا الطابق، كغرف سكنية (1، 2، 3، 4) ومسجد (9).

الطابق الثاني (العلوي) – ويشمل على ساحة ومبانٍ تُستخدم بالأساس كمبانٍ إدارية وسكنية، وجناح للنساء، ساحة علوية وغرف. يُمكن اليوم مشاهدة مدخلين اثنين للمستوى الثاني: المدخل الرئيسي الشمالي ومدخل ثانوي يقع في الجهة الشرقية، لمرور المشاة فقط.

القصر

أقيم مجمّع المباني لقصر دير حنا على رأس تلة صخرية، في الجزء الجنوبي الغربي من القلعة. هذا هو المبنى الرئيسي والأجمل من بينها- يشمل على غرف الإدارة وقاعات كبيرة (10، 15) وصغيرة (12، 13). أُنجز هذا المبنى بفخامة نسبية - جميع الغرفة مُتصلة فيما بينها بواسطة الأبواب ويوجد مخرج من كل غرفة إلى الهو المسقوف (11). تشمل جميع غرف القصر على مواقد حطب. وأُعدت غرف «القصر» على شكل نصف دائري تقع في وسطها قاعات بارتفاع يزيد عن 5 أمتار، ذات نوافذ في طابقين اثنين لجهة الساحة، وفي جانبيها غرف للاستخدامات المختلفة. يوجد للمبنى طابقين اثنين كانا قيد الاستخدام: القصر في الأسفل وطابق واقٍ فوقه; الجزء الرئيسي منه- الهو الذي يشمل على 3 أقواس (11) وتبرز فوقه شرفة خشبية على أرضية خشبية أو كرنيز. تم تنفيذ واجهة الهو بعناية وجمال أكثر من واجهات المبنى الأخرى. في الواجهة الجنوبية

للقصر يظهر عدد قليل من النوافذ الصغيرة في نفس الطابق، يُمكن استخدامها كفتحات لإطلاق النار. كما توجد فتحات لإطلاق النار في الطابق الأول، في جميع غرف القبو. الواجهة الشمالية للمجمّع مواجهة لشارع القرية، مع مداخل للمسجد، للساحة السفلية والساحة العلوية. واكتشفت داخل الموقع خمسة آبار مياه عميقة. واستخدمت الغرفة رقم 3 أيضًا في الطابق الأول كخزان للمياه.

شملت الأسوار الغربية والجنوبية على فتحات، وسقطت الدعامات الخارجية في جزء كبير من الأسوار. كانت هناك فتحات ضخمة في جدران القصر، وانهار بعضها وظهرت في بعضها الآخر تصدّعات ضخمة في الواجهات وعلى طول الدعامات الخارجية. حدثت هناك ظاهرة أدّت إلى تحرّك الدعامات الخارجية وبروزها إلى الخارج. دُمرت أسقف قناطر القصر جميعها، غُطيت أقبيته بانهيار الجدران والقناطر، ولم يكن بالإمكان الوصول إليها (الطابق السفلي، الغرفة 7)، ودُمرت القناطر بصورة كاملة فوق الأقبية الأخرى.

الوضع العام للجزء الجنوبي من القلعة: أسوار، جدران (بالأساس في القصر) والأقبية - كانت مُدمرة. تشمل خطط التطوير السياحي للمجلس المحلي دير حنا على المبنى المُحاصر منذ القرن ال- 18. الحالة المادية المهترئة للمبنى أدّت إلى وجود حاجة لإجراء مسح هندسي للحفاظ عليه، بحيث يُحدد متطلبات التثبيت والسلامة لبقايا الجزء الجنوبي من القلعة.

مراحل البناء

تُشير بقايا المبنى في الموقع إلى توزيعه الأصلي وفقاً للاستخدامات والأغراض. ويبدو أن المبنى شمل دوائر حكومية، أجنحة للرجال، للنساء، للخدم ومسجد. كما شمل القصر ساحتين، الأولى رئيسية بالقرب من المدخل الرئيسي من الشمال، والثانية أصغر، قريبة من المعبر المقبب للجرس ولمدخل المسجد. على ما يبدو كان هناك مبنى مكون من طابقين بين الساحتين، ربط بين جناح النساء وجناح الرجال وشعبة الحكم.

يُمكن توزيع البناء في المكان إلى ثلاث مراحل رئيسية على الأقل:

في المرحلة الأولى تم بناء:

- كنيسة في الجهة الغربية، خلف الساحة السفلية.
- مبنى (أو برج) في الزاوية الجنوبية- الغربية للساحة، بين السور الجنوبي والكنيسة.
- سور جنوبي وشرقي مع واجهة مائلة.
- في الشرق: مبنى سكني.

في المرحلة الثانية:

- غرف سكنية في الطابق العلوي.
- تحويل الكنيسة إلى مسجد كان مرتبطاً بإجراء تصليحات بناء مختلفة.

في المرحلة الثالثة:

- القصر نفسه والغرف (10، 11، 12، 13، 14، 15، 17) في الطابق الثاني.
- غرفة ملاصقة للقصر (9). إغلاق النوافذ في هذه الغرفة، وملاءمتها للقصر.
- معبر بين القصر وبين غرفة السكن رقم 3.
- الغرف 4، 7 وممر رقم 8 في الطابق الأول.
- إغلاق الكنيسة الشرقية وإعادة بناء بيت يشمل الغرف 7، 8، 9.

تقنية البناء

لم يتم بناء مباني المجمّع في نفس الوقت ودون الاعتماد على خطة واحدة. المباني غير قائمة بخط واحد وهناك فروق في الارتفاعات بينها. فتحات الأبواب والنوافذ غير موحّدة بمقاساتها. الجزء الوحيد الذي يُظهر توحيد التصميم، المقاسات والتقنية هو القصر.

تُظهر تقنيات البناء وجود عدم توحيد باستخدام مواد الترابط- طين جيري على أساس أنواع التربة المختلفة، وطين جيري مع فخار وركام.

أعمال صيانة المبنى

على ضوء الحالة الهندسية السيئة للمجمّع وبعد إجراء المسح الهندسي من قبل إدارة المحافظة على الآثار في سلطة الآثار، تعاون مجلس الحفاظ على المواقع التراثية في إسرائيل مع المجلس المحلي لأعمال الإنقاذ الأولية.

في هذا الإطار، جرى مسح إضافي من قبل إيلان بن يوسف وبعد ذلك بدأت أعمال المحافظة على المبنى. عولج الجدار الجنوبي للقلعة، والذي كان تحت خطر الانهيار الفوري. يتم الآن فحص إمكانية مواصلة أعمال المحافظة على باقي أجزاء القلعة.

خان الجسر وجسر المجامع

د. وليد أطرش وإيلان فحيمة – سلطة الآثار

يقع خان جسر المجامع على الضفة الغربية من نهر الأردن، على مشارف كيبوتس جيشر القديمة (قرية المجامع)، ويبعد حوالي 9 كم جنوب بحيرة طبريا و14 كم شمال مدينة بيسان.

بني الخان في موقع مهم بين ضفتي نهر الأردن، هذه نقطة عبور مريحة نسبيًا وعرض النهر هناك ضيق. تتوفر بين أيدينا وثيقتان من القرون الوسطى، تذكران بناء محطة بريدية، ربما خان، في وقت مبكر من القرن الرابع عشر، في جسر «سما».

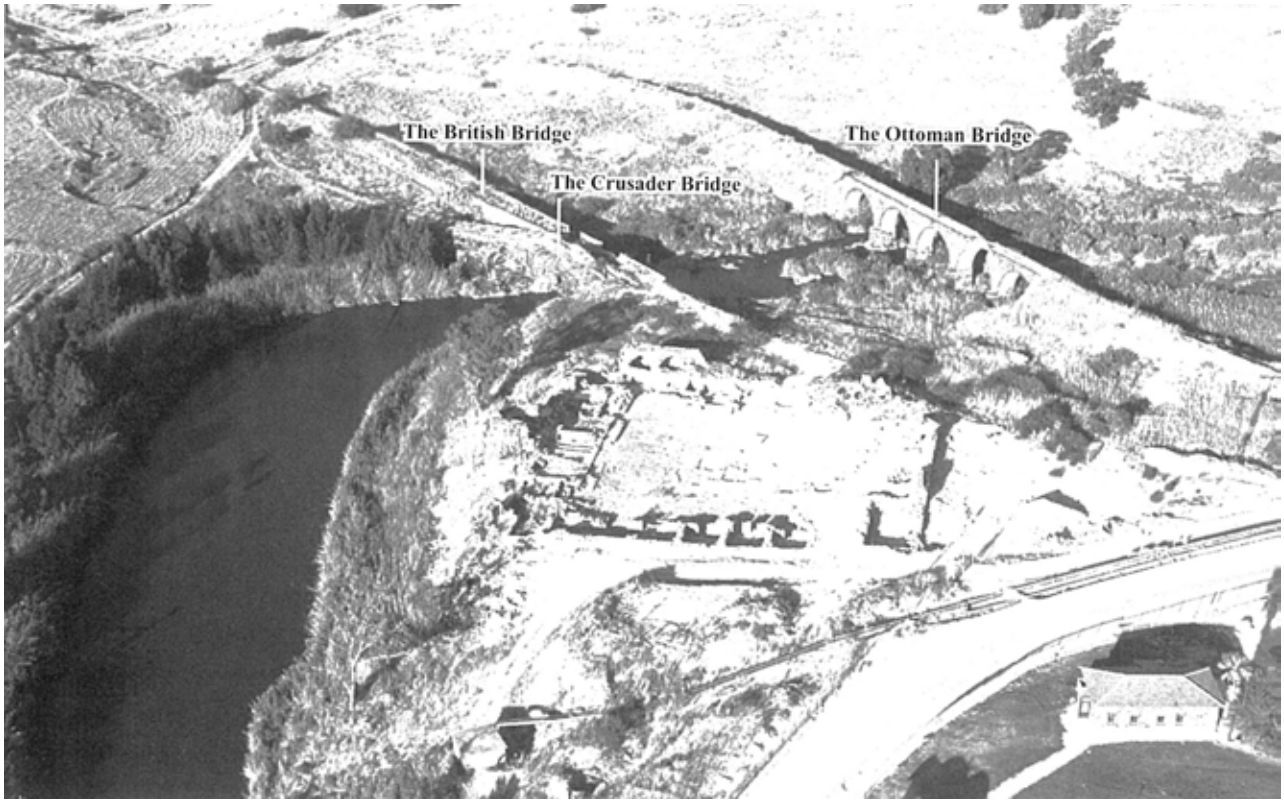
مبنى الخان مربع (60 × 60 م)، في مركزه فناء محاط من أربعة أطرافه بغرف وقاعات. كانت جدرانه الخارجية سميكة (1.5 مترًا) ومبنية من الحجر البازلتي.

في عام 1904، بعد بناء سكة حديد الحجاز، أقيم مكتب الجمارك على آثار جدار الخان في الجهة الشرقية. في عام 1934، تأسس كيبوتس جيشر، وشيّدت بعض المباني على بقايا الخان وببنائها أعيد استخدام العديد من حجارة جدران الخان. وفي أواخر سنة 1960 ضربت هزة أرضية المنطقة فتضرر الخان والجسور.

بنيت ثلاثة جسور منفصلة، على مقربة من الخان، والمعروفة باسم جسر المجامع لموقعها المميّز بمحاذاة التقاء النهرين: الأردن واليرموك. يمكننا عن طريق هذه الجسور عبور نهر الأردن من الغرب إلى الشرق، أي من فلسطين إلى الأردن وسوريا (شكل 1).

الجسر الأول، تم بناؤه على بعد حوالي 40 مترًا من بوابة الخان، ويبلغ طول الجسر 70 مترًا وعرضه 6 أمتار. يتكون جزءه المركزي من قوس كبيرة، ومدعومة من كلا الجانبين بصخور بازلتية كبيرة. ويمرّ تحت تلك القوس نهر الأردن الضيق (شكل 2). أما الجزء الشرقي من الجسر مكوّن من قبوين ومن فوقهما أربعة أقواس صغيرة. أما جزءه الغربي يتألف من قبو واحد وتعلوه قوس صغيرة. فوق الأقواس، على المستوى العلوي للجسر، بني الشارع الذي ينحدر نحو الشرق ونحو الغرب.

واستنادا إلى التحليل المعماري والوثائق التاريخية، يعود تاريخ بناء الجسر إلى الفترتين الصليبية والمملوكية. وفي



شكل 1 - خان جسر المجامع وثلاثة جسور منفصلة (عبد الله مقاري ود. تسفي جال)



شكل 2 - الجسر الأول، يعود تاريخ بناءه إلى الفترتين الصليبية والمملوكية

سنة 1266 للميلاد، خلال الفترة المملوكية وتحت حكم القائد الظاهر بيبرس، تم إصلاح الجسر.

الجسر الثاني، أقيم في أواخر الفترة العثمانية (عام 1904 للميلاد)، يقع على بعد 50 مترا جنوب الجسر الصليبي المملوكي (شكل 3). استخدم الجسر كأساس لبناء سكة الحديد التي امتدت بين درعا وحيفا. بني الجسر من حجر البازلت المحلي ويتكون من خمسة أقبية متماثلة ومن ذات الحجم.

أما الجسر الثالث، أقيم سنة 1925 في فترة الانتداب البريطاني، ويقع على بعد أمتار معدودة جنوبي الجسر الصليبي المملوكي، يتألف من قوسين من الباطون المسلح (شكل 4).

في عام 1948، قبل يومين من إعلان قيام دولة اسرائيل، قامت كتيبة البالماخ من وحدة لواء غولاني بتفجير الجسور، ضمن سلسلة تفجيرات للجسور والمعابر الحيوية، التي كانت تربط فلسطين بجوارها العربي، وأُطلق عليها عملية ليل الجسور لشلّ حركة المواصلات، ومنع مدّ الفلسطينيين بالسلاح. وذلك أدى إلى إصابة جسر المجامع بأضرار كبيرة فانهارت القوس المركزية الموجودة فوق النهر، وانهارت واجهته الجنوبية وكذلك جزءه الغربي حتى الأساس.

صيانة جسر المجامع (من عام 2003 - 2014)

توجه مدراء موقع «جيشر القديمة» خلال عام 2003 بطلب إلى سلطة الآثار الإسرائيلية للمبادرة لإنقاذ جسر المجامع من الانهيار. وقام مدير عام سلطة الآثار في ذلك الوقت، المرحوم شوكا دورفمان، بالتخطيط لإقامة مشروع فريد من نوعه، هدفه الحفاظ وصيانة الجسر القديم. وفي عام 2011 تم التعاون مع خبراء من الأردن وإيطاليا وإسرائيل لإنجاز المشروع.

الوضع الهندسي لجسر المجامع القديم

عانى الموقع من إشكالات كثيرة وأهمها: أساسات الجسر غير مستقرة، تساقط وانهيار أجزاء من الجسر وكذلك الملط (مادة رابطة)، فراغات وتصدعات بالقوس المركزية



شكل 3 - الجسر الثاني، استخدم كأساس لبناء سكة الحديد في أواخر الفترة العثمانية.

وزد على ذلك جذور الأشجار والنباتات.

وقبل البدء بأعمال الصيانة، أعدّ المهندس المعماري الإيطالي جيوسيبي مورغنتي مخططا لصيانة واستقرار الجسر القديم وإعادة بناء الواجهة الجنوبية من القوس المركزية.

أقامت وحدة من مختصّي الصيانة التابعة لسلطة الاثار، وفريق من مختصّي بناء السقالات الإيطالية، سقالة معلقة من المعدن التي أحضرت من إيطاليا خصيصا لهذا الغرض (شكل 5).

وجرى تنفيذ أعمال الصيانة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى، كانت بين يوليو 2013 وديسمبر 2013، تمت صيانة وتقوية أساسات الجسر حتى قاعدة القوس. وفي هذه المرحلة، اتخذت الخطوات التالية:

1. ملء مفاصل الجدار بالملط والحجارة البازلتية الصغيرة.
2. حفر ثقوب بقطر 20 ملليمتر وعمق 80 سنتيمتر في واجهة الجسر من أجل فحص الفراغات بقلب الجسر (شكل 6).
3. تركيب أنابيب من أجل ملء الفراغات الموجودة بقلب الجدران بالملط.
4. إغلاق الثقوب بالملط.

ونظرا للقلق من زيادة ارتفاع مياه نهر الأردن في فصل الشتاء، تقرر فك الجزء المنخفض من السقالة تحت إشراف المهندس إيطالي.

الخطوة الثانية، كانت بين فبراير/ شباط ويونيو/ حزيران 2014، اتخذت خطوات لترميم وصيانة واجهة الجسر الجنوبية واستقرارها، وفي هذه المرحلة اتخذت الخطوات التالية:

1. ملء مفاصل الجدار والشقوق في القوس بالمواد الرابطة والحجارة البازلتية (شكل 7).
2. أثناء عملية الصيانة القوس المركزية، تم سقوط حجر من واجهة القوس. ونتيجة لذلك، تقرر بناء نظام



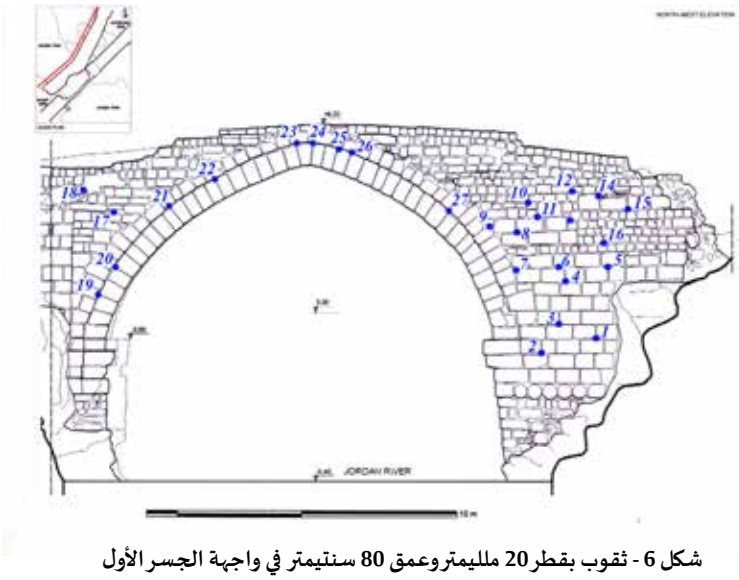
شكل 4 - الجسر الثالث، أقيم في فترة الانتداب البريطاني



شكل 5 - سقالة معلقة من المعدن التي أحضرت خصيصا من إيطاليا

دعامات من شأنه أن يحمي القوس المركزية من الانهيار.

3. حفر ثقوب بقطر 20 ملليمتر وعمق 80 سنتيمتر في واجهة الجسر الجنوبية وذلك من أجل فحص الفراغات بقلب الجسر، وحدّد مكان الثقوب على خارطة الجسر.
4. تركيب أنابيب من أجل ملء الفراغات الموجودة بقلب الجدران بالملط.
5. إزالة القنوات وإغلاق ثقوب بالملط.
6. إعادة بناء الحجارة التي انهارت من القوس المركزية.
7. فك جميع السقالات.



شكل 6 - ثقوب بقطر 20 ملليمتر وعمق 80 سنتيمتر في واجهة الجسر الأول

الخطوة الثالثة، بعد الانتهاء من أعمال الصيانة وتثبيت القوس المركزية، بدأت أعمال الترميم وصيانة القسم الجنوبي من القوس المركزية.

في 31 يوليو 2014، توفي شوكا دورفمان الذي كان مدير عام سلطة الآثار لمدة 14 عاما. وبعد وفاته، بادر رئيس قسم الصيانة والمحافظة على الآثار، رعنان كيسليف، مع مدير عام مجلس حفظ المواقع التراثية، عمري شالمون، إنشاء مرصد بمنطقة جسر المجامع يحمل اسم شوكا دورفمان.



شكل 7 - ملء مفاصل الجدار والشقوق في القوس بالمواد الرابطة والحجارة البازلتية

من خان للطرق إلى مركز سياحي – تعليمي:

بيت شامي في كفر كما

زهير تحاوخو

بيت شامي، أحد المباني الأكثر إثارة للإعجاب في كفر كما، مرّ بعملية حفاظ طويلة ومُعقدة قام بها مجلس الحفاظ على المواقع التراثية في إسرائيل. يُستخدم في السنوات الأخيرة كمركز للتراث الشركسي، حيث يأمه مئات الزوار سنويًا للتعرف على التجربة الشركسية. يقود الموقع خط الحفاظ على الثقافة الشركسية في العالم برمّته، ويعمل كموقع تعليمي من الدرجة الأولى.

نبذه تاريخية

أعجبت دائمًا، كطفل ترعرع في كفر كما، قرية شركسية مميّزة في الشرق الأوسط، بمشاهدة البيوت القديمة المبنية من البازلت الأسود، السقوف القرميدية الحمراء والأسوار المرتفعة حول الأحياء. خلال الجولات في الأحياء القديمة في إطار المدرسة الابتدائية، تجمّعنا دائمًا حول أحد المباني الأكثر إثارة للإعجاب في القرية – بيت شامي (شكل 1). وهو مبنى مكون من طابقين حيث يشمل الطابق الأول على أقواس جميلة، ويشمل الطابق الثاني على غرف ذات أرضيات مُزخرفة وسقف خلاب (شكل 2).

لم تدّخر المعلمات أي كلمة بشرحهنّ عن أهمية المبنى في الماضي، والذي استخدم كخان رواد مطحنة القمح في المكان، والتي تميزت تكنولوجيًا- بتشغيلها باستخدام محرك الديزل، ليس مثل مطاحن القمح الأخرى. بفضل الابتكار التكنولوجي ومساهمة المحرك بطحن أسرع وأفضل، زاد عدد الرواد، وظهرت الحاجة لإيواء رواد القرية الذي ينتظرون انتهاء عملية الطحن. كان الحلّ بجعل الطابق الأول في الخان مكانًا لهائم الزوار وتم ترتيب أربع غرف في الطابق الثاني لتحويلها إلى غرف ضيافة مميزة.



شكل 1 - بيت شامي، مبنى مكون من طابقين



شكل 2 - بيت شامي، أقواس الطابق الأول وغرف بالطابق الثاني



شكل 3 - زواربيت شامي

مركز التراث الشركسي

مرّ منذ ذلك الحين أكثر من سبعين سنة، وكان الأمر مذهلاً. لا يزال المبنى قائمًا، حيث يفد إليه مئات الزواريوميًا وتقديم الضيافة لهم (شكل 3). لكن هذه المرة ليس لطحن القمح، بل للتعرف على تاريخ وتراث الشعب الشركسي.

بعد عدة مداولات، وعلى الرغم من الشكوك التي راودت بعض سكان القرية، تمّ تحويل مبنى مطحنة القمح إلى قاعة محاضرات، يقدّم فيها العرض السمعي والبصري، بالصوت والضوء للزوار (شكل 4)، وملائمة غرف الطابقين للعروض الدائمة ومنها مقتنيات قديمة من منطقة القوقاز، كما تستخدم الساحة الكبيرة في يومنا هذا كردهة للتجمع والعروض - ومنها الرقصات الشركسية - التي تُثري تجربة الزوار (شكل 5). بغضون 11 سنة التي عمل فيها مركز التراث الشركسي داخل المبنى، زاره أكثر من 300 ألف زائر، ثلثهم من التلاميذ، والآخرون متقاعدون، أفراد أجهزة الأمن، أفواج من مستخدمي الشركات والسيّاح من خارج البلاد.

القاسم المشترك لجميع الزوار هو حبّ الاستطلاع والرغبة بالتعرف



شكل 4 - ساحة بيت شامي الكبيرة تستخدم للتجمع والعروض



شكل 5 - الرقصات الشركسية بساحة بيت شامي الكبيرة

على اكتشاف ثقافة مجهولة بواسطة فيلم، جولة في المتحف، جولة إرشادية في القرية، عرض رقصات وضيافة تقليدية. وطبعًا، في جميع مراحل الإرشاد يتعرف الزائر على قصص التراث الشركسي، الغني بالمضامين، بالرموز السلوكية والمواثيق الاجتماعية التي تربط المجتمع الشركسي وتحافظ على ميزاته حتى يومنا هذا.

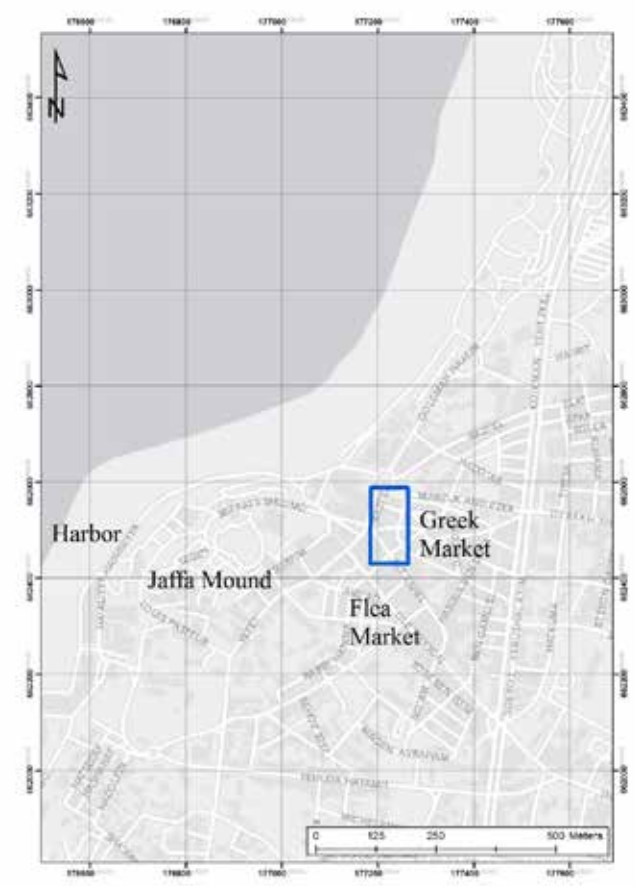
المكوّنات، من العرض والقصة - هي أيضًا ذات قيمة تعليمية. حيث تنقل الرسائل التي تعتبر بمثابة جزء لا يتجزأ من الثقافة وأنماط حياة المجتمع الشركسي. تشمل هذه الرسالة على الحاجة لتعلم دفع الغرائز، لإظهار ضبط النفس، واعتماد الانضباط والتحكم بالجسم، اجتياز الضغوط، لإظهار الولاء، والحفاظ على الأرض والكرامة للبالغين والنساء.

يخرج الزوار في نهاية الزيارة مع الشعور بأنهم اجتازوا تجربة ممتعة ومثيرة، واكتسبوا فرصة التعرف على التراث الشركسي وقيمه. وكثيرًا ما يجد المرشد نفسه مُحاطاً بعشرات الأشخاص الذين يرغبون بالحصول على إجابات على أسئلتهم التي نجمت عن الجولة، وحتى أنهم يبلغونه عن رغبتهم بمعاودة زيارة القرية والخان - بمرافقة الأولاد والأحفاد. ويعلّلون قرارهم هذا بأنه يجب على الجميع التعرف على الثقافة الشركسية، والاستفادة منها.

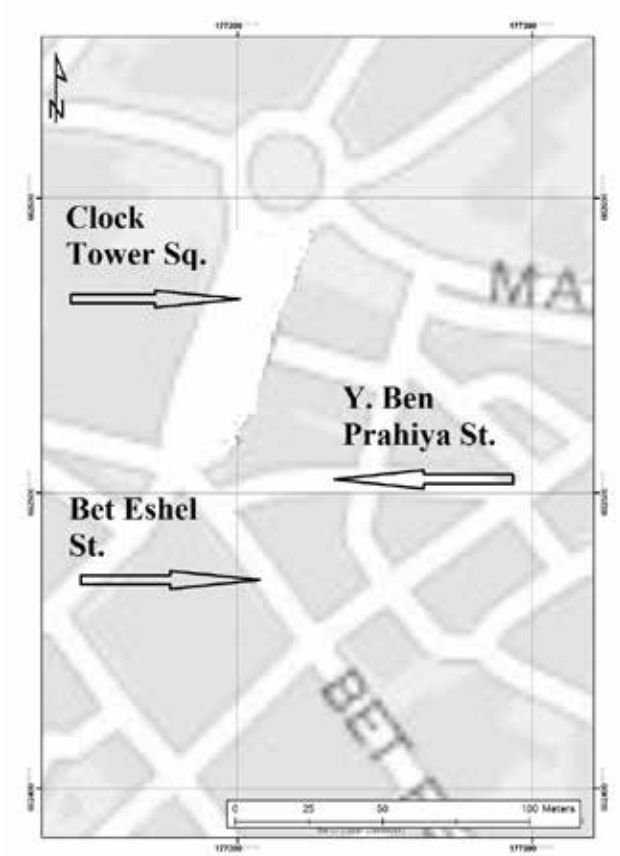
ازداد خلال السنوات الأخيرة عدد المدارس التي ترغب بدمج الزيارة لمدة ساعة ونصف في مركز التراث الشركسي في كفر كما ضمن رحلاتها السنوية، وذلك بناءً على تقارير المدرّسين والمدراء الذين زاروا المكان ووجدوا فيه ما أثار اهتمامهم. وقالوا إن زيارة الموقع من شأنها أن تستخدم كمنصة مناسبة للجولات الثرية بالمحتويات التعليمية، وذلك من دون التأثير على تجربة الزائر للموقع السياحي. صحيح أنه في البداية، اعترض بعض أفراد العائلة المالكة للخان على تحويل المبنى إلى موقع سياحي، لكنهم يرحبون بهذه الخطوة اليوم. ويعترفون بأن والدهم قد يكون فخورًا لجعل منزله مركزًا للتراث التعليمي للحفاظ على ثقافة شعبه، يُقرّب إليه أبناء الشعوب الأخرى ويستضيفهم، كما كان يفعل طيلة حياته.

مقبرة لجنود مماليك في يافا

د. يوسي نجار ود. يوآف أربيل – سلطة الآثار
ترجمة د. حمودي خلايلة - سلطة الآثار



شكل 1 - خريطة الموقع لمواقع القبور



شكل 2 - خريطة تكبيرية لمواقع القبور

المقدمة

حفرت عديد من البعثات الأثرية تل يافا منذ أواخر الأربعينات من القرن الماضي، ولكن الأراضي المحيطة بالتلة من الشرق والجنوب والشمال، حيث تتواجد البساتين والمقابر العثمانية لم تحفر إلا بشكل متقطع، ولم يكن يُعرف إلا القليل عن الاستيطان فيها. بينما كان الاستيطان على التل مدار أبحاث ودراسات متواصلة عن العصر البرونزي الأوسط وحتى القرن العشرين بدون انقطاع.

منذ منتصف سنوات التسعين تم ملء هذا الفراغ جزئيًا بعدة حفريات للانقاذ، وجرى معظمها على يد سلطة الآثار الإسرائيلية. ويعكس اكتشاف المنازل السكنية والمباني الصناعية والدينية، والأسوار الدفاعية والمواد الأثرية المتعلقة بها، على نمطٍ حضاري شاع في المناطق المحيطة بتل يافا، ويوصف بالتسلسل الحضاري الذي استمر مئات السنين، وغطى الحقب الهيلينية والبيزنطية والإسلامية والصليبية القديمة.

المناطق المحيطة بتل يافا والتي سميت بالمدينة السفلى، هُجرت وتحوّلت إبّان العهد العثماني في القرنين الماضيين إلى مزارع ومقابر، كجزء من النشاط الزراعي والمدني الذي أحاط بمدينة يافا.

بدأت أطول الفترات الانتقالية لمدينة يافا مع الفتح المملوكي، واستمرت حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ففي ذلك الوقت استخدمت الأراضي المنخفضة شرق التل كمقابر، كما اتضح من تواجد العديد من القبور التي أقيمت بين الفترة الصليبية وحتى الفترة العثمانية المتأخرة. بعض هذه المقابر مؤرخة إلى فترة انتقالية، وقد تكون لتجار أو مسافرين عبروا ميناء يافا أو سواهم، ويعود ذلك إلى بداية الاستيطان المتجدد ليافا، أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ميلادي. معظم القبور ذات صفات تشير إلى أن مراسم الدفن فيها تمّت بحسب الشريعة الإسلامية. وتوقف الدفن في هذه المقابر بعد أن حوّلها سكان يافا إلى حقول زراعية، بينما انتقلت المقابر إلى شمال يافا وجنوبها حيث دفن فيها



شكل 2 - منطقة الدفن في وسط يافا الحالية

الموتى المسلمون والمسيحيون واليهود واستمر استخدامها حتى أوائل القرن العشرين.

تم اكتشاف ما يقرب من خمسين قبرًا أثناء حفريات الإنقاذ في شوارع بيت إيشل ويهوشوع بن برايا (في السوق الحديثة والسوق اليونانية)، وفي الجزء الجنوبي الشرقي من ساحة برج الساعة المجاور. تقع هذه المقابر على أنقاض مبانٍ صليبية وترعة للرّي من العهد العثماني المتأخر (شكل 1، 2). قد تعود هذه القبور للمماليك (1268 - 1517م.) لأن معظم القبور تم العثور عليها في طبقات عميقه، قريبة من الآثار الصليبية، لكننا لا نستبعد أنّ بعض القبور من الفترة العثمانية القديمة. اكتشاف مقبرة من الفترة التي هجّرت فيها يافا أمر مثير للإعجاب، حيث أن النسبة الساحقة للهياكل العظمية هي لذكور بالغين، كما يشير مبنى الهياكل العظمية، وتحليل البيانات المادّية والمعلومات النصّية حول يافا خلال تلك الفترة.

المكتشفات وأساليب البحث

دوّنت البعثات الأثرية الأربع في تقاريرها اكتشاف بقايا لهياكل إنسانية في يافا، كما جرى تلخيص ذلك في اللائحة رقم 1. ونظرًا لتحفظ بعض الفئات الدينية المتطرّفة حول التنقيب عن القبور، اضطر المنقّبون وعلماء الآثار في دراسة الأنثروبولوجيا إلى إجراء البحث في الموقع الأثري، بدون أخذ عيّنات للفحوص والدراسات الإضافية في المختبر. لذلك ركّز علماء الأنثروبولوجيا على موضوع مراسم الدفن، وتقديرات العمر عند الوفاة والجنس، وملاحظات بصرية لوجود أعراض لأمراض على العظام.

حفرت سبعة قبور بالكامل من أصل أحد عشر قبرًا اكتشفت في السوق اليونانية. الهياكل التي اكتشفت في هذه القبور كانت بحالة جيدة نسبيًا، لكن نصف المقبرة الكبيرة التي اكتشفت في شارع بيت أشل تم حفرها كلها، أما القبور التي اكتشفت في ساحة برج الساعة فقد حفرت بشكل جزئي، وجمع الملاحظات اتخذ في الموقع بدون حفر الهياكل العظمية. التقارير الميدانية، وفيها وصف مفصّل لكل هيكل عظمي تمّ كشفه، محفوظة في أرشيف سلطة الآثار والمعلومات المتوفرة شكّلت أساسًا علميًا لهذا البحث. عمومًا، يستند تقدير عمر المدفون عند وفاته على وضع الأسنان ومراحل اهترائها، أما تحديد الحد الأدنى للسن أعتمد على وضع الغضروف





شكل 3أ - دفن نموذجي لشخص بالغ

بين المفاصل في الهيكل. كما أن تحديد الجنس قد يستند على قياسات الجمجمة والحوض، وأعلى الفخذ. ثم دفنت الهياكل العظمية بعد وقت قصير من إجراء القياسات وتدوين الصفات اللاجينية للعظام، وفقا لرسم يستخدم لتسجيل الملاحظات في جميع حفريات سلطة الآثار. صفات إضافية أخذت بشكل منفصل وفقًا للمعايير التي تم جَمعها عالميا.

وصف المكتشفات

تمت دراسة 48 هيكلا عظميًا وجدت في حالات حفظ مختلفة. هذا البحث يلخّص نتائج دراستها الأنثروبولوجي.

مراسم الدفن

جميع القبور في الحفريات الأربع هي قبور لأشخاص دفنوا بحسب التقاليد الإسلامية. فقد حفرت القبور باتجاه الشرق والغرب. جوانب القبر بنيت بألواح من الحجر (شكل 3 أ)، والنصب بارز في الطرف الغربي للقبر. وضع الموتى على جانبهم الأيمن والرأس في الطرف الغربي للقبر بينما يتجه الوجه نحو الجنوب (شكل 3 ب).

الأعمار

جاءت تقديرات الأعمار عند الوفاة في الجدول 2، بناء على البيانات

لائحة رقم 1: المكتشفات التي شكّلت قاعدة هذا البحث

تاريخ الحفرية	أسم الاثري	عدد القبور
سوق الرابش 2003	فايلشتوكر ورئيم	1
بيت أشل 2004	فايلشتوكر	30
برج الساعة 2005	فايلشتوكر	10
السوق اليونانية 2014	أربيل	7

جدول 2: تقدير العمر عند الوفاة

	العمر عند الدفن							غير معروف
	< 5	6-9	10-14	15-19	20-29	30-39	40-49	
السوق اليونانية			1		2	3	2	
بيت أشل	1		2	2	12	2	1	10
برج الساعة				2		1		5
سوق الرابش								1
المجموع	1		3	4	14	6	3	16



شكل 3 ب - الهيكل العظمي في الموقع

المقدمة، المعتمدة على المعلومات التي جمعت من حفر 48 قبرًا، بحفريات شارع بيت أشل وساحة برج الساعة. يستدل من الجدول أن معظم القبور كانت لرجال بالغين تقدر أعمارهم بين 20 و30 سنة. ثلاثة قبور فقط لأطفال تجاوزت أعمارهم بين 10 و14 سنة. وقبر واحد لأمرأة بالغة. تمّ تعديل خطأ واحد في هذا البحث، حيث نشر مسبقًا عن وجود قبر لطفل يقلّ عمره عن خمسة أعوام، لكنه بالحقيقة بالغ ويزيد عن 18 سنة.

وكما ذكرنا أعلاه، جدول 2، فإن القياسات الشكلية لم تجر في المختبر، وإنما أخذت في موقع الحفريات نفسه. ومع ذلك، يمكننا إجراء سجل من المواصفات اللاجينية التي لخّصت تلخيصًا في جدول لإعداد هذا البحث.

الأمراض

لم يلاحظ مرض هروب الكلس بعد فحص عظام الجمجمة (hyperostosis السريالي) ومدار العيون بشكل منهجي، حيثما أمكن ذلك. بل لوحظ وجود كسر مداوى في عظم الزند لأحد الافراد، وكسر مداوى في الرجل لآخر في السوق اليونانية. ولم يلاحظ أي دليل مرئي آخر يشير إلى وجود صدمات مؤثرة بعد فحص أعضاء أكثر من 33 مدفونًا، ما يدلّ على أن أسباب الوفاة غير ناجمة عن أحداث عنف أو قتل.

تلخيص النتائج

لم يتم العثور في الحفريات المذكورة على هياكل من فترات أقدم أو متأخرة من العهد المملوكي. بما أن دراسة جميع الهياكل من المواقع الأربعة التي لخصت في الجدول 1 قد جرت في الموقع بواسطة عالم أنثروبولوجيا واحد، فالخلاصة كانت موضعية ومستقرة. لأن الباحث استخدم نفس الأساليب والقياسات، مما قلّل إلى حدّ ما الوقوع في الأخطاء الناجمة عن تعدد الباحثين. يتّخذ أحد الباحثين نهجًا علميًا ثابتًا فيصبح عنصرًا حاسمًا في التأثير على موثوقية المعلومات والنتائج التي يعتمد عليها.

كل القبور محفورة بمحور اتجاهه شرق وغرب، ودفن الموتى فيها على جانبهم الأيمن والرأس يتجه نحو الجنوب، كما هي العادة بمراسم الدفن الإسلامية في مدافن الشرق الأوسط منذ بداية الإسلام، بغضّ النظر عن وضع الميت الاجتماعي والخلفية العرقية. لم تستخدم القبور في يافا مرة أخرى، وهذا الوضع يشبه وضع المقبرة المملوكية في بيت داغان، التي تقع على بعد عدّة كيلومترات

من يافا. لكن القبور في مقابر مملوكية أخرى، مثل مقبرة ماميلا في القدس أو سلفادوروت في وادي الأردن، حيث فتحت القبور هناك وأعيد استخدامها.

النتائج كانت أكثر موثوقية في مقبرة السوق اليونانية، وفي بعض القبور في موقع بيت أشل وذلك بسبب الوضع الجيّد للهياكل، واستخدام تقنيّات متعددة المتغيرات، التي مكّنت الباحثين من حصر أعمار القبور بفارق 10 سنوات فقط. أما باقي القبور فلم يتمكن العلماء حصر أعمارها بهذه الدقة، ولهذا فقد استخدموا قياس بعض الأعضاء الهيكلية كدليل لعمر الميت، مثل قياس الجمجمة والحوض. هذه القياسات أشارت إلى أن 92٪ من المدفونين كانوا من الكبار البالغين، وتقدر أعمارهم عند الوفاة بين العشرين والثلاثين. بالمقارنة فإن نسبة البالغين في القبور العثمانية تقدر ب 58٪. بالإضافة إلى ذلك، فان نتائج تخمين الجنس ليست انتظامية، إذ تشكّل نسبة الذكور حوالي 96٪ من العيّنات القابلة للتحديد، وهي نسبة تتجاوز بكثير المعدل المتوقع في موقع سكني. ففي المقبرة العثمانية في موقع إليزابيث بيرجنر، تشكل نسبة الذكور ما يقارب 60٪ من الأفراد البالغين. لهذا فإن مقبرة يافا تختلف اختلافا كبيرًا عن المقبرة الواردة في تقرير إليزابيث بيرجنر. كما تختلف عن نسبة الذكور في المقبرة العثمانية بماميلا القدس، حيث تمثلّ نسبة الذكور نحو 55٪ من المدفونين هناك. فالنتيجة الواضحة من هذا البحث تشير إلى أن المقبرة المملوكية في يافا لم تكن مقبرة مدنية عادية، بل كانت خصوصية لدفن جنود مماليك من الفترة الإسلامية القديمة. الأحداث التاريخية تشير إلى أنه في السابع عشر من آذار عام 1268، قامت قوات المماليك بقيادة بيبرس باقتحام يافا الصليبية، وبعد حصار قصير خضع الصليبيون للمماليك. فقام المماليك بعد الفتح، بتنفيذ سياسة الهدم الممنهج ليافا، كما فعل صلاح الدين الأيوبي في عسقلان عام 1191. اتبع المماليك هذه السياسة في جميع أنحاء المدن التي احتلت على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط. إن التعامل المتطرف لهذه المدن هو جزء من استراتيجية المماليك الدفاعية ضد هجمات أساطيل الفرنجة التي كان مقرّها في مدينة صور. تدمير المدن وتحصيناتها حرم الغزاة من إقامة رؤوس جسور عليها والتوغل في الداخل. لا يستطيع المماليك التقليل من شأن المخاطر المحتملة مثل هذه التوغلات، ولا سيما في ضوء المبادرات الأوروبية الفاشلة لتشكيل تحالف مع المغول لمكافحة المماليك. لهذا لم يهدم المماليك المدن الساحلية فحسب، بل منعوا إعادة إعمارها لثقتهم بأنهم لا يستطيعون صدّ الهجمات البحرية للأبد. بما أن يافا قريبة نسبيًا من القدس التي كانت مركزا للفرنجة آنذاك، فقد كانت هدفا واضحًا لإعادة احتلالها من المماليك، لهذا فإن دمارها كان شاملا. بالرغم من هذه السياسة المتطرّفة فقد شهدت يافا فترة من الانتعاش، انتهت على ما يبدو في عام 1345، ولحق يافا الدمار الشامل والهجر السكاني. ظلت يافا مهجورة لأكثر من ثلاثة قرون بالرغم من ذكرها في سجلات الحجاج والمسافرين. في القرن الخامس عشر، ذكرت يافا كقرية صغيرة تضمّ عشرات البيوت على بعد ميل من الشاطئ. وورد ذكرها في السجلات العثمانية من القرن السادس عشر كميناء نشيط لمدينة الرملة. إلا أن المصادر التاريخية نفسها التي تذكر نزوحًا كاملا للسكان في يافا، تؤكد على أن وحدة جيوش المماليك قد تمركزت بشكل دائم في برجين صليبيين يشرفان على الميناء، وكانت مهمتهما مراقبة الأنشطة غير العادية في الميناء.

بما أن معظم الهياكل العظمية في المقبرة المملوكية هي لذكور دفنوا بطقوس دينية إسلامية، فالاعتقاد هو بأن هذه الهياكل لجنود عسكريين، أعضاء هذه الوحدة الذين تمركزوا بشكل دائم في يافا، ومن المحتمل أن تكون هياكل الأنثى والطفل في هذه المقبرة لعائلة مملوكية سكنت في الجوار.

الخلاصة

التحليل الأنثروبولوجي للهياكل البشرية من 48 قبرًا من المقبرة المملوكية المتواجدة في وسط يافا العصرية، أظهر بشكل قاطع أن جميع الموتى كانوا من الذكور في سن الشباب، على عكس المقابر المدنية التي تحوي على أجناس متعددة بأعمار مختلفة. هذا الافتراض يطابق العديد من الشهادات التاريخية التي تصف وضع المماليك في يافا. نحن نرى بخلاصة هذا البحث أن المقبرة التي اكتشفت وحفرت في يافا، احتوت على رفات وحدة حراسة، ومعروف أنها تمركزت في الموقع طوال تلك الفترة. تستند المقابر العسكرية الرسمية على المفاهيم الثقافية الحديثة، إلا أن ظاهرة دفن الجنود وتخليدهم تعتبر ظاهرة قديمة، مستمدّة من ضرورة عملية وليست دينية أو عرقية. الجنود والضباط الذين قتلوا أثناء خدمتهم أو توفوا بعيدًا عن أماكن سكناهم، توجب على الأحياء دفنهم بالقرب من موقع سقوطهم. شكّلت يافا المهجورة في الفترة المملوكية، وحتى بداية الحكم العثماني، مقبرة لدفن الموتى، بما في ذلك تحديد قسم لقبور الجنود. الكشف الحالي لهذه المقبرة أتاح لنا إلقاء نظرة نادرة وفريدة لحقبة زمنية محدودة بتاريخ يافا العريق، والتي تركت انطباعًا قويًا في سجلات الزوار الذين عاصروا هذه الحقبة، وأقاموا علاقات تجارية وسياسية بين العالمين الإسلامي والمسيحي في أواخر القرون الوسطى.

الباب الحصين للأرض المقدسة:

«بوابة القدس» في يافا العثمانية

د. يوآف أربيل وليور روخبرغر – سلطة الأثار
ترجمة د. وليد أطرش - سلطة الأثار



شكل 1 - بوابة يافا الرئيسية، صورة فوتوغرافية لمصور فرنسي

مدينة ميناء محصنة ومكتظة على تلة عالية، وفيها أسواق وحولها مزارع مزدهرة، ولكنها ملوّثة ومليئة بالأوبئة. هكذا وصفت يافا في مذكرات المسافرين الذين زاروها في القرن التاسع عشر. الرسوم التوضيحية الفنية من الفترة الحالية تعرض يافا كمدينة ميناء غريبة، وتؤكد الخرائط تحصيناتها ومبانيها البارزة. في بداية النصف



شكل 2 - بوابة يافا الرئيسية، صورة فوتوغرافية لمصور فرنسي

الثاني من القرن، زار المدينة مصورون والتقطوا صورًا للمدينة من زاويا مختلفة. على مدى العقود القليلة الماضية، أضيفت بيانات لكنز المعلومات حول يافا، ومعلومات قيّمة من عشرات الحفريات الأثرية التي أجريت على التل، وفي العديد من الأماكن في المدينة الجديدة وحولها. وقامت فرق أثرية كثيرة، معظمها من سلطة الآثار، بحفر مواقع شهيرة مثل ساحة الساعة، السوق، الميناء، مركز الشرطة، مركز البريد، المستشفى الفرنسي وشوارع رئيسية في المدينة. في الدراسة المرافقة للحفريات، استخدموا الوصف الأدبي، الفني، الخرائط والصور الفوتوغرافية القديمة لمدينة يافا كبحث مساعد ومهم في تحديد بعض المباني في المدينة، وكذلك في فهم التطور الذي خضعت له يافا في نهاية الحكم العثماني.

إلى جانب المواد الغنية المتوفرة في المكتبات العامة، أضيفت مؤخرًا بيانات معرّفة ومحوسبة، يمكن لكل باحث الوصول إليها عبر الإنترنت، كمصدر للمعلومات المتنوعة والحديثة. في الآونة الأخيرة، عثر في هذه البيانات على لوحات وصور فوتوغرافية للمدينة التي لم تكن معروفة من قبل، ومن بينها صورتان فوتوغرافيتان لمصورَين فرنسيين، اللذين يصفان بوابة يافا الرئيسية في تلك الأيام (شكل 1، 2). تم بناء البوابة المعروفة باسم «بوابة القدس» أو «بوابة أبو نبّوت» على اسم بانيها الحاكم المحلي، محمود آغا «أبو نبّوت» في بداية القرن التاسع عشر، كجزء من إعادة تأهيل المدينة بعد



شكل 3 - يافا، سبيل سليمان أو سبيل محمودي

الدمار الكبير الذي تسبّب نتيجة سلسلة من الحصارات، وعلى رأسها احتلال المدينة على يد نابليون عام 1799. وتم شقّ الطريق التاريخي من «بوابة القدس» إلى المدينة المقدسة.

الصورة القديمة من عام 1860، هي من أعمال لويس فيجنس، والصورة الثانية التي التقطها فيليكس بونفليس، أهم وأبرز مصورين للأرض المقدسة في القرن التاسع عشر. من المحتمل أن تكون الصورتان للبوابة قد التقطتا من زاوية مماثلة، ربما من سطح خان كان قائمًا عند نقطة مراقبة شمال شرق البوابة نفسها.

الجزء الأول من هذه المقالة يصف العناصر الرئيسية التي تظهر في الصور، والتي تلقي الضوء على شكل البوابة وتفاصيلها ومحيطها. أما القسم الثاني فيعرض المخلّفات الأثرية في يافا خلال الفترة العثمانية، والتي لم يبقَ سوى القليل منها مرئيًا اليوم لزوار المدينة.

الأبراج، التحصينات والديكورات: مجمع البوابة وتحصيناته في الجزء الأمامي من مجمع البوابة نرى في الصورتين برجين بارزين، يتحكمان بمدخل البوابة. أرضيات مائلة تؤدي إلى كل من البرجين، كما استخدما لنقل المدافع الموضوعة بداخلهما. في أجزاء البرجين العلويين تظهر ست شقوق ضيقة طويلة لإطلاق النار، وفوقها أسنان حجرية مطلية باللون الأبيض. إلى يسار البرج الجنوبي يوجد جزء من سور المدينة. يظهر بين البرجين ممرّ وأداة معلقة فوقه. أدى هذا الممر إلى فناء داخلي، وإلى الجنوب منه البوابة وإلى شماله سبيل منمّق (شكل 3).

هذا السبيل، المتبقي بكامله حتى يومنا هذا، ولكنه مخفي بالكامل في الصور، سقى زوار المدينة عند وصولهم إلى البوابة. ويعرف باللغة الشعبية باسم سبيل سليمان، على اسم سليمان باشا، حاكم عكا في أيام أبو نبّوت. على ما يبدو سمّي في الأصل بسبيل محمودي، جزء من الحائط الخارجي الجنوبي لمجمع مسجد المحمودية الذي تم بناؤه أيضا على يد أبو نبّوت، ولا يزال حتى اليوم المسجد الرئيسي في يافا. وتظهر في بعض أوصاف يافا، في كتابات الرحالة الأوروبيين، أن السبيل منح مكانة بارزة، على الرغم من اختلاف الآراء حوله.

إلى الجانب الغربي من فناء البوابة يمكن رؤية الجزء العلوي من جدار عالٍ، الذي يفصل الساحة عن المدينة. وجّه الجدار الوافدين إلى مدينة يافا يسارًا (جنوبًا)، إلى هيكل البوابة نفسه. الغرض من ذلك هو إبطاء تقدم الجنود من مهاجمة البوابة، وكشفهم للمدافعين عن البوابة والأسوار المحيطة بها. هذا تصميم دفاعي



شكل 4 - يافا، أجزاء من البوابة



شكل 6 - أجزاء من برج داخل متجر شرق مدخل البوابة



شكل 5 - أجزاء من برج داخل مطعم شرق مدخل البوابة

قديم، ويمكن العثور على أمثلة مشابهة له في المواقع التي يعود تاريخها إلى العصر الحديدي، مثل مجيدو، وقيسارية الصليبية، وأبواب مدينة القدس من عهد سليمان القانوني وبوابة اليابسة بعكا.

على الجانب الأيسر من الصورة، خلف الابراج وعلى فتحة البوابة المخفية في الصور، يوجد مبنى كبير – هو مبنى البوابة. المبنى بارز في خريطة سكييرينغ (Skyring) التابعة لأسطول البحرية البريطانية منذ عام 1842، ويمكن رؤيته في لوحات المناظر الطبيعية التي رسمها الفنانون مثل وليام بارتليت وديفيد روبرتس وغيرهما. كان ارتفاع المبنى ما بين أربعة إلى خمسة أمتار، في جداره الشرقي فُتحت نافذة، وتم دمج أربعة أبراج مستديرة ذات قبة في زواياه. عنصر زخرفي آخر يظهر في الصور هو كورنيش أسطواني تم تصميمه بعرض البوابة وزواياها.

يمكننا اليوم العثور على أجزاء من البوابة، بما في ذلك المدخل الذي نجا بالكامل مقابل سبيل سليمان (شكل 4)، بين المطاعم والمحلات التجارية في الجانب الجنوبي من شارع روسلان، الذي يوصل إلى ساحة كدوميم. لسوء الحظ معظم الأجزاء مخفية وراء إضافات بناء حديثة، مكيّفات معلّقة وسقوف القصدير. الجزء السفلي من أحد الأبراج، ربما البرج الجنوبي الغربي مكشوف في داخل البوابة. توجد أجزاء من برجين إضافيين داخل مطعم كبير ومتجر شرق مدخل البوابة (شكل 5، 6).



شكل 7 - طبق مزجّج من مدينة تشاناكالي



شكل 8 - طبق من خزف الغلاسكو

محيط بناية البوابة

لخلفية الصورة أهمية كبيرة لمعرفتنا بمحيط المدخل التاريخي للمدينة. تظهر في الصورة التي التقطها بونفيس خيمة كبيرة، وأكشاك مؤقتة مصنوعة من الخشب والقش والحصير، المفروشة على الأرض أمام البوابة، كما تتصاعد في نقاط مختلفة بينها أدخنة الطهي والشواء. يظهر في الصورة أشخاص يرتدون قمصان القطن، يتجولون بين الأكشاك أو يجلسون في الخيام. هذه الصورة توثق بشكل نادر ومفصّل سوق الفواكه والخضروات المذكورة في النصوص من هذه الفترة، وتبرز في خريطة ساندل من عام 1878. بعد فترة وجيزة من التقاط الصورة، هدم هذا السوق وعلى أنقاضه أقيمت ساحة الساعة، وهي اليوم واحدة من رموز يافا المعمارية. توفر صورة فين توثيقًا مميّزا فريدًا من نوعه للجسر الذي يمتد فوق الخندق ويصل بين فناء البوابة والمنطقة المفتوحة خارج المدينة. تظهر في الصورتين بوضوح القبة المركزية ومئذنة مسجد المحمودية. نلاحظ أن المئذنة بالصورة أقصر من المئذنة التي نعرفها اليوم، وهذا يشير إلى التغييرات والتوسعات التي أجريت في المسجد خلال مائتي سنة الماضية. خارج نطاق البوابة يمكننا مشاهدة البيوت السكنية في المدينة التي بنيت بيوتها متراصّة، دون التخطيط المدني الحقيقي - مشهد يطابق وصف الرحّالة.

هدم البوابة: من الحماية إلى التفكك

إن التطوير الكبير للمدفعية العسكرية خلال القرن التاسع عشر أدى إلى هدم الأسوار، والتي لا يمكن أن تشكل عقبة حقيقية أمام هذه المدافع. في الوقت نفسه، استقر الوضع السياسي في الشرق الأوسط والأراضي المقدسة. تحوّلت الأنظار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى التطور التجاري السريع الذي شهدته مدينة يافا الساحلية، وفي إطارها انتشر البناء خارج أسوار المدينة شمالا وجنوبا وشرقا. فقدت تحصينات المدينة أهميتها بالفعل وأصبحت مصدر إزعاج لتوسع المدينة وتنميتها.

في ستينات القرن ال-19 تم فتح بوابة بالسور الشرقي، دون أي تدابير دفاعية. وإهمال ما تبقى من أسوار المدينة وأدى ذلك إلى تفكيكها. إن الاختلافات على حالة تحصينات المدينة واضح بشكل بارز في الصور. نرى الأسوار والبوابة في صور فين لا تزال سليمة وبحالة جيدة، بينما تظهر تلك الأسوار في صور بونفيس وغيرها من الصور، في وقت متأخر بعقدين لصور فين، مليئة بالثقوب الكبيرة ونبتت الأعشاب عليها. كما نرى في الصورة أشجار النخيل الشاهقة خارج أسوار المدينة وهذا مؤشر على الوضع الأمني المستتب عند السكان والحكام المحليين.

صدر في عام 1888 فرمان عثماني رسمي، سمح بتفكيك تحصينات يافا وإغلاق الخندق المقابل للأسوار. وهذه الاعمال تم تنفيذها بالفعل قبل صدور الفرمان، واستخدمت أحجار التحصينات في البناء الجديد غربي ساحة الساعة وشارع يافت، مثل المجمّع العسكري (القشلة) الذي أصبح فيما بعد مقر الشرطة، والمستشفى الفرنسي الذي أقيم على أنقاض قلعة سيدنا سميت، في الزاوية



شكل 9 - الجدار الغربي لفناء البوابة، أساس الجدار بعرض شارع روسلان



شكل 10 - قناة الصرف التابعة للسبيل

الجنوبية الشرقية من سور المدينة.

الاكتشافات الجديدة

خلال الحفريات الأثرية الحديثة في مواقع مختلفة في يافا تم الكشف عن أنقاض رائعة من التحصينات العثمانية، وعثر على مدفع وكرات للمدافع من مختلف الأنواع، رصاص الموسقط وحجارة الصوان، من مكونات بندقية الموسقط القديمة الشائعة خلال أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. ومن بين هذه المكتشفات أنقاض بوابة القدس التي كشف عنها في الحفريات الأثرية التي أجريت عام 2011 في الطرف الشرقي من شارع رسلان. أضافت نتائج الحفريات معلومات مهمة عن تحصينات البوابة، والتي ترتبط بالأدلّة الموجودة في الصور القديمة. كما كشف عن أربعة عناصر مهمة من التحصينات التي بقيت مخفية منذ أن تم تفكيكها قبل مائة وثلاثين سنة:

1. الجسر المبني فوق الخندق الذي مرّ عبره المسافرون من وإلى البوابة.
2. الجدار العالي الغربي لفناء البوابة.
3. أساس الأبراج الأمامية التي تحرس البوابة.
4. قناة الصرف التابعة للسبيل.

1. الجسر

لم يكن معروفًا عن الجسر المبني فوق الخندق إلا القليل قبل الحفريات الأثرية، هذا الجسر الذي بني على ما يبدو من قبل أبو نبّوت. يظهر الجسر في الخرائط والصور الفوتوغرافية التاريخية، كجزء من الطريق المؤدي إلى فناء البوابة. لم يظهر الجسر في خريطة زاندل (عام 1886)، لأنه في هذه المرحلة تم بالفعل تفكيك الأسوار جزئيًا وإحاطة البوابة ببناء جديد. خلال الحفريات الأثرية فوجئنا باكتشاف الجسر كاملا تقريبًا تحت الشارع الجديد.

تم اكتشاف الجسر كهيكل متين مبني من حجارة الكركار والجير المسمسم وعزّزه بجص صلب. يتكون الجزء الرئيسي من قوسين يمتدان على مسافة حوالي ثمانية أمتار، وهو عرض الخندق الذي تم بناء الجسر فوقه.

تم التعرف على الخندق في عدد من الحفريات في المدينة، مثل مواقع المستشفى الفرنسي ومركز الشرطة (القشلة). وكشف عن الخندق على امتداد طريق غزة (اليوم شارع يافت) وهي جزء من طريق البحري التاريخية التي تربط بين بلاد ما بين النهرين ومصر، والتي مرّ أجزاء منها عبر الأراضي المقدسة. على الرغم من أن مهندسي الجسر الذين كانوا يعملون في أوائل القرن التاسع عشر، لم يستطيعوا التنبؤ بحركة مرور المركبات الثقيلة على الجسر في القرن الحالي، ومع ذلك لا توجد أي تصدّعات في الأقواس الحجرية، أو أي أدلّة على التآكل الذي قد يزعج أو يهدد المركبات. العرض الدقيق للجسر نفسه غير واضح، لأن الهياكل التي تقف هناك اليوم منعتنا من الكشف عن جميع أجزائه. عثر على بعض ألواح حجرية التي رصف بها الجسر، ربما كان هذا أول مشروع يُرصف بألواح حجرية في يافا العثمانية، لأن الشوارع الرئيسية في المدينة رصفت في نهاية القرن التاسع عشر. من المعقول أن نفترض أنه تم نقل حجارة من الجسر بعد تفكيكه للاستخدام الثانوي في رصف الشوارع.

ساعة تفكيك التحصينات طمروا قسمًا من الخندق الواقع تحت الجسر بالأوساخ والحطام، وعثر خلال الحفريات على العديد من القطع الأثرية، وشملت الأواني الفخارية الرمادية من عائلة غزة (كانت غزة مركز إنتاجها)، بالإضافة إلى شظايا من الأطباق المزجّجة

من مدينة تشاناكالي (Çanakkale) في تركيا (شكل 7)، وأطباق من الخزف الغلاسكو في أسكتلندا (شكل 8) وغلايين التدخين الأناضولية. مجموعة من الأدوات التي كان من الممكن العثور عليها في العديد من منازل يافا خلال الحكم العثماني. عثر على العديد من العملات النقدية للسلاطين العثمانيين من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

2. الجدار الغربي لفناء البوابة

كما ذكرنا آنفًا، فإن وظيفة هذا الجدار كانت منع الدخول المباشر إلى المدينة، وتنظيم حركة القادمين من الجنوب إلى البوابة. ويبدو أن هذا الجدار كان يسهّل على الحراس مراقبة ما يحدث في فناء البوابة، وما وراء منطقة البوابة والزاوية الشمالية الشرقية من السور، والتي تشرف على فناء مسجد المحمودية. على الرغم من أهميته، لم يرِد ذكر هذا الجدار في الأوصاف الشفوية لشهود العيان، لكنه يظهر في خريطة من عام 1842 وفي الصورتين التاريخيتين لفين وبونفيس.

خلال الحفريات الأثرية اكتشف أساس الجدار بعرض شارع روسلان، بين الجزء الغربي من هيكل البوابة وبين الطرف الغربي للسبيل (شكل 9). كان عرض أساس الجدار 1.40 م، ويرجّح بأن هذا يمثل سُمك الجدار العلوي نفسه، كما هو عادة في البناء العثماني للقرن التاسع عشر في يافا.

وقد بني الجدار على أقواس أساس متينة، وهو عنصر آخر يميّز البناء العام في يافا خلال هذه الفترة. اكتشاف الجدار أتاح لنا حساب مساحة فناء البوابة بين الجدار والجسر والسبيل وباب البوابة، وكان طوله حوالي ثلاثة عشر مترًا وعرضه عشرة أمتار.

3. أساس الأبراج الأمامية التي تحرس البوابة

تم الكشف في التنقيبات الأثرية عن مقطع ضيّق طوله 2.40 متر وارتفاعه 2.20 متر من البرج الشمالي على جانبي الجسر المتّصل بساحة البوابة. بني البرج من الحجر المسمسم المعزّز بجصّ قوي. بُني هذا البرج بالتوازي مع الجسر الموجود فوق الخندق، كما يمكن رؤيته في مزيج مداميك السور وأقواس الجسر. ويظهر كلا البرجين في صور وخرائط من القرن التاسع عشر. إن الهياكل الحديثة التي تغطّي اليوم معظم أساسات الأبراج حالت دون أن نكشف عن أجزاء إضافية منها، كما أن تخطيطها الكاملة غير معروف لنا.

4. قناة الصرف التابعة للسبيل

أجريت في السنوات الأخيرة تجديدات وإصلاحات في سبيل محمودي، وتم تركيب حنفيات ماء جديدة، لتحل محل الحنفيات الأصلية التي أصبحت تالفة. اليوم، يتم نقل المياه إلى السبيل وصرفها بالأنابيب الحديثة، ولكن التنقيبات كشفت جزءً من نظام الصرف الأصلي، الذي يشبه قنوات الصرف من الفترة المتأخرة، وشبيهة بقنوات الصرف من العصر الروماني. بنيت القناة التي يبلغ عرضها الإجمالي 0.90 مترًا والداخلية على 0.5 مترًا من الألواح الحجرية الموضوعة على جوانبها الضيقة جنبًا إلى جنب ومغطاة بألواح من الحجر الرملي (شكل 10).

تم تصريف الماء من نقطة في وسط حوض طولي واقع تحت حنفيات السبيل بقناة متجهة نحو الجنوب، طولها حوالي سبعة أمتار قبل أن تتحول بزاوية قائمة شرقا نحو الجسر المبني فوق الخندق ومن هناك طولها 18 مترا حتى تصل إلى خارج المدينة. ربما تم تحويل المياه خارج المدينة لري البساتين التي تطورت في جميع الأنحاء. في مرحلة ما، ربما مع تطوير سوق البوابة، أغلقت القناة في منطقة السوق وتم تصريف المياه ببالوعة إلى الخندق الواقع تحت الجسر. ومن المأمول أن تكشف عمليات التنقيب الإضافية التي من المتوقع أن تجرى في السنوات القادمة، عن تفاصيل إضافية حول تحصينات يافا في هذه المنطقة وفي أجزاء أخرى من المدينة. أهمية كبيرة لاكتشاف هذا المجمع المهم ليس فقط لمعرفتنا بتحصينات المدينة، ولكن أيضًا لمعرفة عمليات التنمية الحضارية الأوسع، والتي تتضح أيضًا في تصميم المدينة المألوف لدينا اليوم.

الكنائس والأديرة في الفترة البيزنطية والإسلامية المبكرة في مدينة بيسان (نيسا سكيتوبوليس)

د. وليد أطرش ود. غابي مزور – سلطة الأثار

إن بداية الديانة المسيحية في مدينة بيسان (نيسا سكيتوبوليس - Nicea-Scythopolis) البيزنطية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي تضمنت حدثين تاريخيين. الأول: في سنة 363 ميلادي حيث ضرب منطقة الأغوار زلزال دمّر أجزاء كبيرة من المدن وبضمنها مدينة بيسان. هدم هذا الزلزال العديد من المباني العامة في وسط مدينة بيسان، بما في ذلك معابدها وشوارعها. والحدث الثاني: الإعلان عن مدينة بيسان عاصمة لمقاطعة فلسطين الثانية (Palaestina Secunda) حوالي عام 400 ميلادي.

يمكننا القول إن بداية المسيحية في المدينة كانت في أيام القديس بروكوفيوس الذي استشهد في مدينة قيسارية في 7 يوليو سنة 303 ميلادي حسب أقوال أوسابيوس. وكذلك في أيام القديسة أناطاس (Ennathas) المولودة سنة 309 ميلادي في بيسان، وفي أيام القديس باسيليوس، والذي أسّس ديرًا في المدينة على اسمه في نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي.

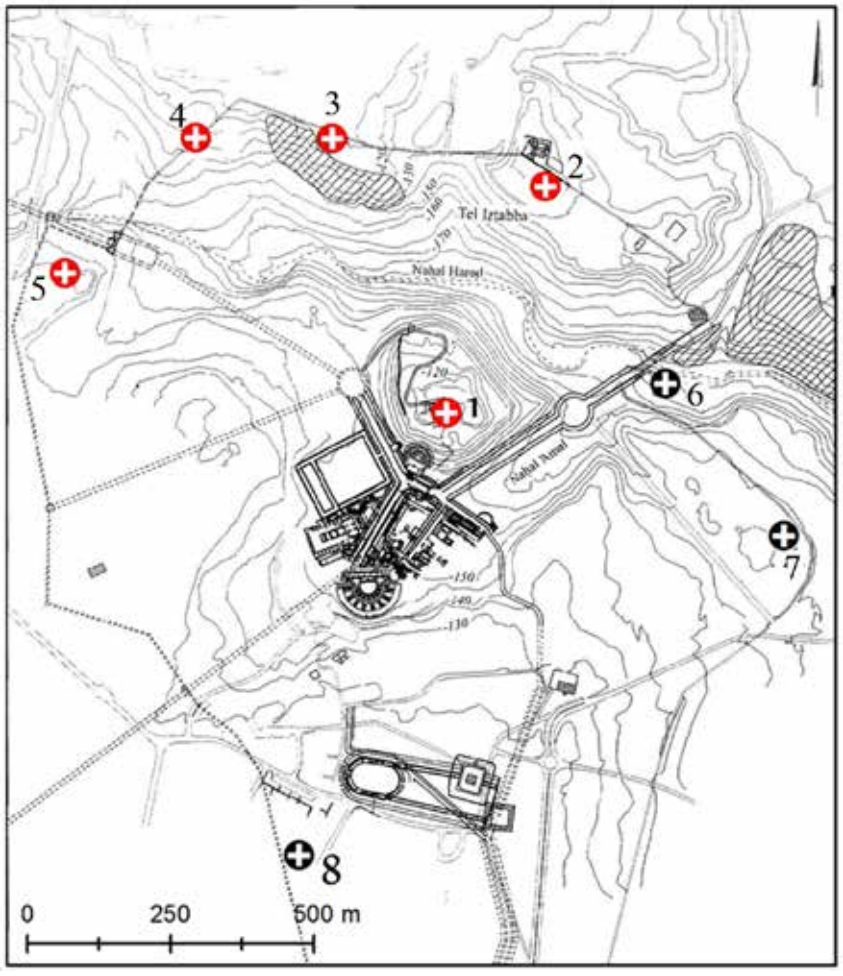
كان معظم سكان مدينة بيسان وثنيين خلال هذه الفترة، وبجانبهم تشكلت جماعة مسيحية صغيرة التي استوعبت المسيحيين الجدد. كما كانت في بيسان جماعتان توحيديتان: جماعة يهودية قوية وجماعة سامرية، انخرط كثير من رجالها مع القيادة الحاكمة في المدينة.

إن انتشار بناء الكنائس في البلاد بشكل كبير كان إبان حكم الإمبراطور الروماني قسطنطين، عظيم روما بين الأعوام (306–337 للميلاد)، وبالتحديد بعد مرسوم ميلانو سنة 313 ميلادي الذي منح المسيحيين عامة، حرية اتباع الدين والنهج المناسب والأفضل لكل فرد منهم، وخلال فترة قصيرة أصبحت الديانة المسيحية ديانة الدولة.

نستشف من رسائل القديس أفيفانيوس من القرن الرابع، أن القيصر قسطنطين أيّد ودعم بناء الكنائس، وخاصة في مدن الجليل الأسفل. ويذكر أفيفانيوس قصة يوسف، وهو رجل يهودي من مدينة طبريا دخل الديانة المسيحية، وكرّس حياته لبناء الكنائس وفاز بلقب صديق القيصر.

تشير الدراسات إلى أن تطور الطابع المسيحي لمدينة بيسان بلغ أوجه في القرنين الخامس والسادس للميلاد، وأصبحت المدينة مركزًا لكثير من الرهبان الذين عاشوا في أديرتها، وأداروا شؤونها الدينية والاجتماعية، وفي معظم الحالات تجاوزت سلطتهم سلطة حكام المقاطعة ورؤساء النظام البلدي.

إن أهم المعلومات عن الكنائس وآباء الكنيسة، وتاريخ الرهبان في صحراء يهودا، وصلتنا عن طريق أعمال كيريليوس عن حياة القديس ساباس. زار كيريليوس مدينة بيسان مرتين، الأولى عام 518 م. والثانية عام 531 م. وفي

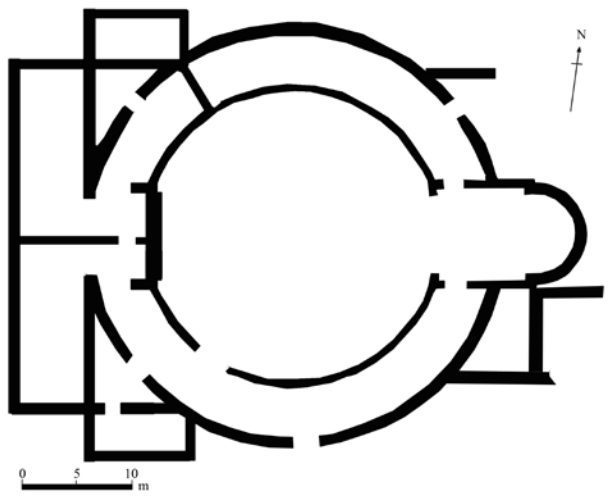


شكل 1 - خارطة مدينة بيسان، الكنائس والأديرة

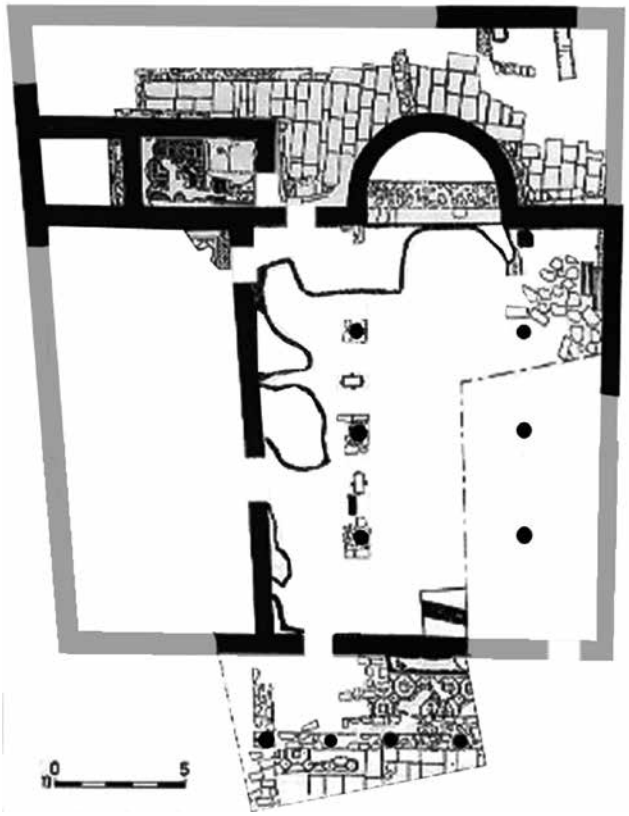


شكل 3 - البوابة الواقعة تحت أقدام كنيسة يوحنا المعمدان

كتابه يذكر أسماء ومواقع كنائس وأديرة المدينة، من بينها: دير القديس باسيليوس وكنيسة يوحنا المعمدان، كنيسة القديس بروكوفيوس وهو القديس الأول في قصر الأسقف، وصومعة يوحنا الواقعة على الطريق المؤدّية إلى كنيسة القديس يوحنا، وكنيسة القديس توماس الواقعة على الطريق المؤدية إلى قيسارية ودير



شكل 2 - خارطة كنيسة يوحنا المعمدان



شكل 4 - خارطة كنيسة دير القديس باسيليوس



شكل 5 - كنيسة يوحنا المعمدان، رواق زينة أرضيته بالفسيفساء

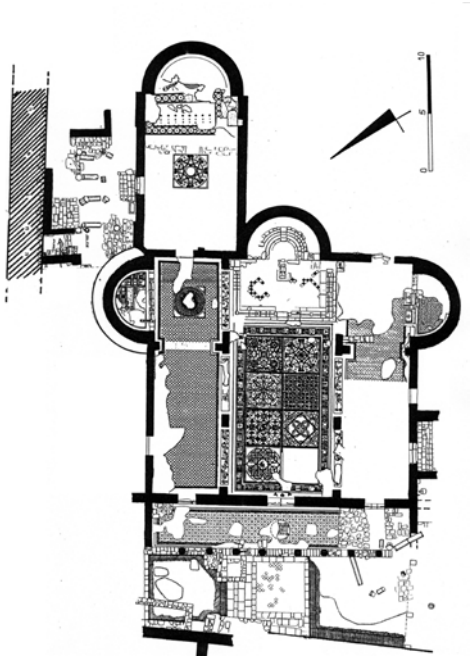
عنتانانت (عين التينة؟). تدل التنقيبات، المسح الاثري، الأرقام والوثائق التاريخية على وجود ثماني كنائس وأديرة في مدينة بيسان (شكل 1).

1. كنيسة يوحنا المعمدان، 2. دير القديس باسيليوس، 3. دير السيدة ماريا، 4. دير بجوار سور المدينة الشمالي، 5. دير إيمهوف، 6. دير الأب جوستين، 7. كنيسة القديس بروكوفيوس، 8. دير ثيودوروس الراعي.

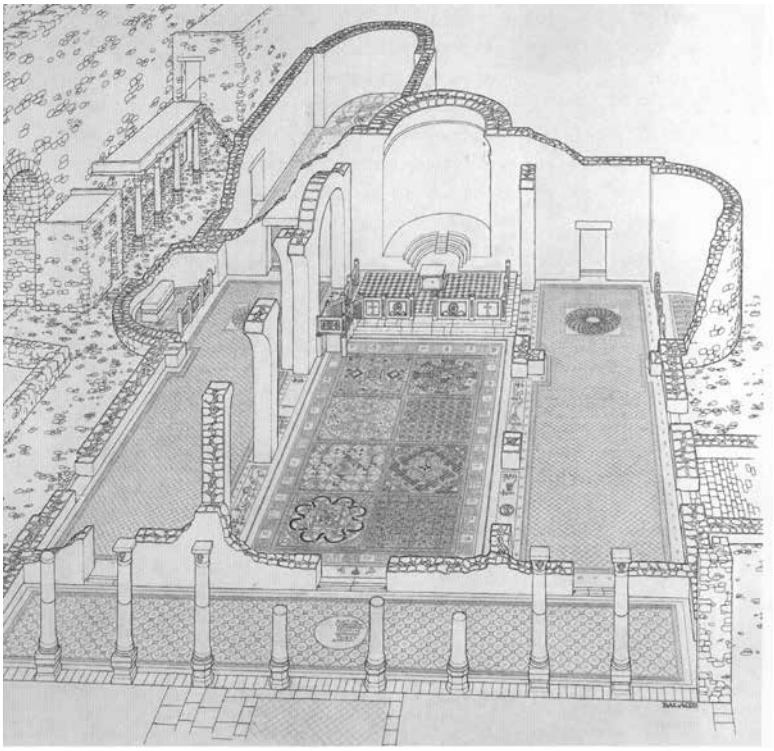
كنائس وأديرة مدينة بيسان

1. **كنيسة يوحنا المعمدان** - كشفت البعثة الأمريكية التابعة لجامعة بنسلفانيا بفيلادلفيا (سنوات 1921-1933) خلال مشروع التنقيبات الأثرية بتل الحصن عن كنيسة بازيليكا من القرن الرابع للميلاد مخصصة للقديس بروكوفيوس، أول شهيد في المدينة (303 م). مع مرور الزمن أحرقت الكنيسة ودنس قبر القديس، وعلى أنقاضها بنيت كنيسة تذكارية. أقيمت الكنيسة بشكل دائري، وفي مركزها صحن محاط برواق، وفي الجهة الشرقية يوجد قدس الأقداس البارز عن شكلها الدائري (شكل 2).

وفقا لأقوال الرحالة من بوردو - بنيت سكيتوبوليس (بيسان) على جبل، وقام يوحنا المعمدان بالمعجزات عليه. ووفقا لأقوال كيريليوس، وفي أول زيارة له إلى مدينة بيسان سنة (518 م) أفاد أن القديس ساباس شفى امرأة كانت مصابة بنزيف دم، وكان ذلك عند البوابة الموصلة من مركز المدينة إلى كنيسة يوحنا المعمدان المبنية على التل. خلال مشروع الحفريات الأخير تم الكشف عن أنقاض هذه البوابة الواقعة تحت أقدام كنيسة يوحنا المعمدان (شكل 3).



شكل 6 - خارطة دير القديس باسيليوس الجديد



شكل 7 - مجسم دير القديس باسيليوس الجديد

كما كشف عن بقايا دير فخم من الفترة البيزنطية إلى جانب كنيسة يوحنا المعمدان، ويعتقد علماء الآثار من البعثة الأمريكية أن هذا الدير هو قصر الأسقف.

2. **دير القديس باسيليوس** - بني لأول مرة كدير صغير في نهاية القرن الرابع الميلادي في شمالي المدينة على تل المسطبة. مع بناء سور المدينة في بداية القرن الخامس، بقي الدير خارج الأسوار ولكن فتحت بوابة بالأسوار كي يتمكنوا من الوصول من داخل المدينة إلى الدير. وكشف عن الكنيسة المخططة على شكل بازيليكا، مكوّنة من رواق مركزي، وفي جهته الشرقية قدس الأقداس وله حنية نصف دائرية، ورواق شمالي بجزئه الشرقي يوجد باب من خلاله يمكننا الوصول إلى غرفة التعميد والرواق الجنوبي (شكل 4). يفصل بين الرواق المركزي والأروقة الجانبية ثلاثة أقواس مدعّمة بأعمدة.

كانت أرضية قدس الأقداس مرتفعة ببعض الدرجات عن مستوى أرضية الأروقة، مبلّطة بألواح حجرية ومحاطة بسياج. أما مسطبة الأروقة فرصفت بالفسيفساء الملون ولم يبقى منها إلا القليل.

أمام المدخل الرئيسي للكنيسة يوجد رواق وساحة مكشوفة. زينة أرضية الرواق مصنوعة من الفسيفساء بأشكال هندسية، وداخلها أنواع عديدة من الطيور، وفي مركزها داخل تاج يوجد نقش باللغة اليونانية (شكل 5). وحسب نتائج الأبحاث فقد أحرق وهدم هذا الدير في أواخر القرن الخامس، زمن ثورة السامريين على البيزنطيين، وأعيد بناؤه كدير كبير ورائع داخل أسوار المدينة لجانب الدير القديم.

دير القديس باسيليوس الجديد داخل أسوار المدينة – أقيم في القرن السادس للميلاد، ويتكون من كنيسة كبيرة، كنيسة صغيرة، غرفة طعام ومطبخ وفناء خارجي وحوله الغرف (شكل 6).

كنيسة الدير الكبيرة مبنية على شكل بازيليكا، مؤلفة من قاعة مركزية وقاعتين جانبيتين، ويفصل بينهما من كل جهة ثلاثة أقواس مدعّمة بأربعة أعمدة مربعة، ولها ثلاث حنيات بارزة من الجهات الشرقية، الشمالية والجنوبية حيث تشكل سوية شكل الصليب (شكل 7). يظهر في القسم الشرقي من القاعة المركزية قدس الأقداس المرتفع ببعض الدرجات عن مستوى صحن الكنيسة، وداخل الحنية الشرقية توجد مقاعد حجرية وفي وسطها كرسي الأسقف. كان المدخل المركزي إلى قدس الاقداس من الغرب، وكان محاطا من ثلاث جهاته الشمالية والجنوبية والغربية بسياج، مصنوع من ألواح رخامية مزينة بأشكال نباتية، ويتوسطه صليب داخل تاج دائري، ونقش إلى جانبيه حرفان من الأبجدية الفينيقية A و ω وتعني ان السيد المسيح هو البداية والنهاية (شكل 8).

كانت أرضية قدس الأقداس مبلّطة بألواح من الرخام، وفي الوسط توجد آثار المائدة المقدسة، وتحتها صندوق صغير الذي يحفظ فيه جزء من ذخيرة قديس، وهناك يتم تحويل الزيت إلى زيت مقدس.



شكل 8 - لوح رخامي مزين، يتوسطه صليب ونقش حرفان من الأبجدية الفينيقية A و ω



شكل 9 - كنيسة يوحنا المعمدان، أرضية قاعات الكنيسة مرصوفة بالفسيفساء الملون

وأرضية قاعات الكنيسة مرصوفة بالفسيفساء الملون، حيث زينت القاعة المركزية بثماني سجادات ذات أشكال هندسية محاطة بمربعات مزخرفة بأنواع مختلفة من عالم الخضراوات والفواكه (شكل 9).

كما أن أرضية القاعات الجانبية كانت مزينة بأشكال هندسية، ولوحات مميزة تفصل بين القاعة المركزية والقاعات الجانبية، وهي مزخرفة بطيور وحيوانات مفترسة وأليفة وتصف حركتها ساعة الصيد والهرب (شكل 10، 11).

تم الكشف داخل الحنية الشمالية الواقعة في القاعة الشمالية عن ناووس حجري وفيه رفات ثلاثة أشخاص. يمكننا الافتراض أن هذه الرفات ترجع إلى أفراد عائلة مقدسة، وأقيم هذا الدير لحفظ اسمها.

أمام المدخل الرئيسي للكنيسة يوجد رواق وساحة مكشوفة. زيّنت أرضية الرواق المرصوفة بالفسيفساء بأشكال هندسية، ويتوسطها تاج فيه نقش باللغة اليونانية (شكل 12).

3. **دير السيدة ماريا** - كشفت البعثة الأميركية عن بقايا دير كبير في تل المسطبة الواقع بجانب الأسوار الشمالية لمدينة بيسان. يتكون الدير من كنيسة صغيرة والعديد من الغرف التي تحيط بقاعة مركزية من ثلاث جهات (شكل 13).

الجدير بالذكر أن جميع أرضيات الغرف والقاعات مبلّطة بالفسيفساء الملون، ومزينة برسومات هندسية، وأشكال من عالم النباتات والطيور، ووصف لموسم قطف العنب ودولاب الحظ.

تقع الكنيسة في الزاوية الشمالية الشرقية من الدير، وهي مكونة من قاعة مركزية ولها حنية نصف دائرية بالجهة الشرقية. عثر على بعض القبور داخلها تحت المسطبة المبنية من الفسيفساء الملون، والمزينة بأنواع كثيرة من عالم الطيور (شكل 14).

يحتل وسط القاعة المركزية دولاب الحظ المكون من دائرتين، الدائرة المركزية الصغيرة زيّنت بصورة إله الشمس هيليوس وإلهة القمر سيلينا. وقسّم الجزء الواقع بين الدائرتين إلى اثني عشرة جزءًا بعدد أشهر السنة. ولكل جزء رسم إنسان وكتابة اسم الحظ تحته باللغة اليونانية (شكل 15).

زينت إحدى أرضيات الغرف بلوحة تصف موسم قطف العنب. وقد خرجت من داخل مزهرية داليتا عنب، وتكوّنان أثني عشر أكيلا من الدوالي والعنب، وبين الأكاليل تعشش الطيور والحيوانات وداخل الأكاليل وصف لموسم لقطف العنب (شكل 16).

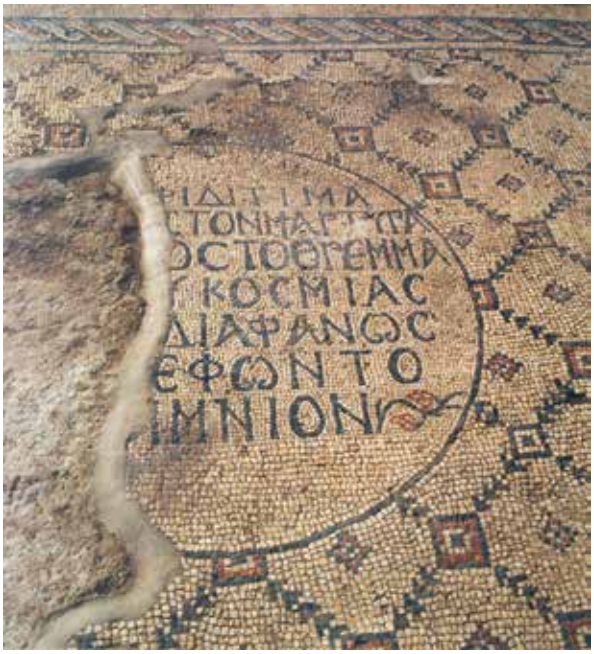
يستشف من الأرقام التي كشف عنها بأرضيات الفسيفساء أن



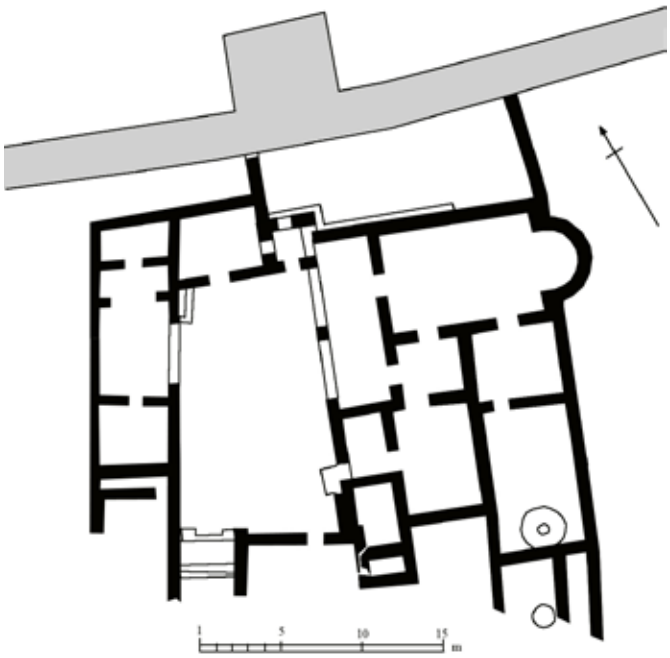
شكل 10 - كنيسة يوحنا المعمدان، لوحات صيد تفصل بين القاعة المركزية والقاعة الجانبية



شكل 11 - كنيسة يوحنا المعمدان، لوحات صيد تفصل بين القاعة المركزية والقاعة الجانبية



شكل 12 - كنيسة يوحنا المعمدان، نقش باللغة اليونانية يزين ارضية الرواق



شكل 13 - خارطة دير السيدة ماريا

الدير أقيم عام 567 م وأطلق عليه اسم دير السيدة ماريا، نسبة إلى السيدة التي تبرّعت لبنائه.

4. **دير بجوار سور المدينة الشمالي** - في سنة 1950 عثر على بقايا بناء يقع على بعد 250 مترًا غربي دير السيدة ماريا، وبجوار أسوار المدينة. وكشف عن غرفتين من الدير: الغرفة الغربية، مستطيلة الشكل (7.8 × 3.25 م)، وأرضيتها فسيفساء مزينة بنمط هندسي. والغرفة الشرقية مستطيلة الشكل (7.80 × 7.70 م) وزينت أرضيتها بنمط هندسي. في الغرفة الشرقية تم العثور على قبر مبني تحت المسطبة (1.80 × 0.60 م)، باتجاه شرق غرب، ومن المحتمل أن يكون الدير قد أقيم تخليدًا لذكرى الفقيد أو القديس المدفون هنا. واكتشف قبر آخر خارج الغرفة الشرقية بجوار الركن الشمالي الشرقي. هذا القبر عبارة عن ناووس مصنوع من الحجر الجيري (1.65 × 0.35 م، سمك جانبي التابوت 0.12 م)، وبداخله عثر على جمجمة.

5. **دير إيمهوف**. كشف التنقيب عن بقايا عشر غرف مبلطة بالفسيفساء ومزينة بأشكال هندسية، وأشكال مختلفة من عالم الطيور والنبات (شكل 17). هذه الغرف تابعة لدير كبير يقع جنوب بوابة قيسارية وبجانب سور المدينة الغربي، والذي أقيم في الفترة البيزنطية. وكشف عن كتابة باللغة اليونانية «سلام بقدومك وبخروجك» مبنية من الفسيفساء الزجاجي.

6. **دير الأب جوستين** - عثرت البعثة الأثرية الأمريكية شرق الجسر المقطوع على نقش في أرضية الفسيفساء المؤرخة لعام 585 م، وفي هذا المكان تمّ تحديد موقع دير الأب جوستين. ووفقا لما جاء على لسان كيريليوس، يمكن تعريف هذا الدير بدير الأنتيمون.

7. **كنيسة القديس بروكوفيوس** - سميت الكنيسة على اسم القديس بروكوفيوس وهو أول شهيد مسيحي سقط في مدينة بيسان، وأعدم في قيسارية (سنة 303 م). إن موقع الكنيسة غير معروف بشكل قاطع وحسب المسح الأثري قد يكون موقع الكنيسة على تلة في جنوب شرق المدينة بجوار أسوارها.

8. **دير ثيودوروس الراعي** - لا يوجد لدينا معلومات كافية لوصفه.

كانت بيسان في الفترة البيزنطية معقلا للرهبان، وهي ظاهرة مميّزة، كما في مدينة غزة والقدس التي كانت مركزًا كنسيًا في الأرض المقدسة. وسيطر الرهبان سيطرة كاملة ومطلقة على مدينة بيسان وقيادتها، والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية فيها. نحن نعرف اليوم أسماء اثني عشر أسقفا من أساقفة بيسان خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد.

واحدة من أكثر الظواهر غير العادية هي الغياب التام للكنائس والكاتدرائية في وسط بيسان، وهي مؤسسة إلزامية في كل مركز مدينة يوجد فيها أسقف. مقارنة مع الكنائس في اتحاد المدن العشر الأخرى، مثل جرش، أم قيس، طبقة فحل وسوسيتا. من الجدير بالذكر أن بيسان كانت عاصمة مقاطعة فلسطين الثانية، هل يمكن تفسير غياب المباني الدينية من مركز المدينة؟ هل يعود ذلك إلى التركيبة المعقدة غير المتجانسة لسكانها؟



شكل 14 - دير السيدة ماريا، الكنيسة



شكل 15 - دير السيدة ماريا، فسيفساء دولاب الحظ

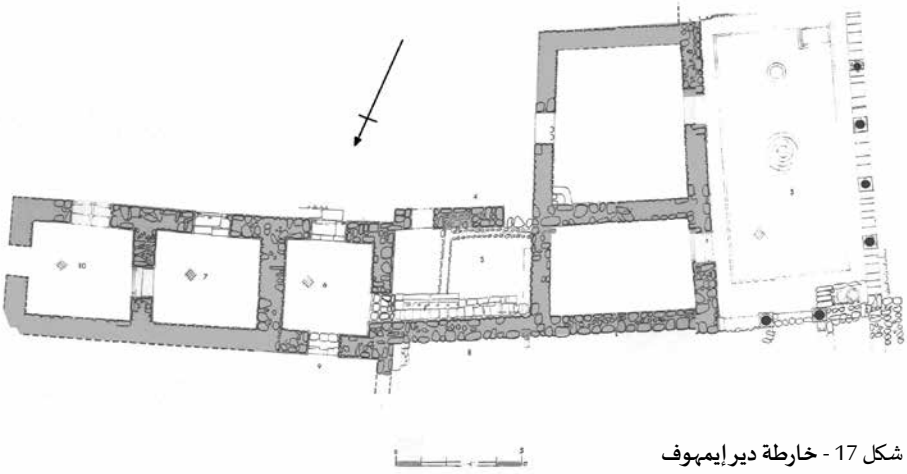


شكل 16 - دير السيدة ماريا، فسيفساء موسم قطف العنب

أديرة بيسان بعد الفتوحات الاسلامية

فتحت بيسان على يد شرحبيل ابن حسنة سنة 636 ميلادي. وبعد الفتح الإسلامي كانت بيسان تابعة لجند الأردن وعاصمته مدينة طبريا، وهكذا توقفت بيسان عن أن تكون العاصمة ومركز المنطقة الاقتصادي والسياسي والإداري. ومنذ ذلك الوقت لم يعد لمدينة بيسان أي تأثير، بل فقدت مكانتها الدينية ولم يكن فيها أسقف. لا يزال مركز المدينة يحافظ على طابعه الكلاسيكي، ولا تزال معظم مبانيه الفخمة قائمة، لكنها فارغة من الجوهر وبدأت تتدهور تدريجيًا. تحولت شوارع الأعمدة الواسعة إلى أزقة ضيقة بعد الاعتداء عليها وإقامة بيوت سكنية. وفي الفترة الأموية أقيمت المصانع والمفاخر لصناعة الفخار على أنقاض الحمامات العامة وساحة السوق والمباني الترفيهية. بني في وسط المدينة العام مسجدان وسوق هشام بن عبد الملك الرائع بشارع سيلفانوس. وهدمت الكنيسة الدائرية على تل بيسان وأقيمت على أنقاضها وجميع أنحاء التل مباني الحكم الأموي وحيّ سكني فاخر.

ووفقًا لنتائج الحفريات الأثرية يمكننا الجزم بان أديرة المدينة وضواحيها استمرت كمراكز دينية، حتى تلاشى تأثيرها السياسي على المدينة. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الأديرة والكنائس في المدينة وضواحيها وحدات مسيحية معزولة تقع في منطقة إسلامية نابضة بالحياة. وفي عام 749 م ضرب المدينة زلزال قوي دمر وهدم المدينة والأديرة ولم يتم تجديدها خلال العصر العباسي.



شكل 17 - خارطة دير إيمهوف

جنود مرتزقة يونانيون
في أواخر العصر الفارسي في عكا

أماني أبو حميد – سلطة الأثار

تقع مدينة عكا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، في أقصى الشمال من خليج عكا - حيفا. يحدّها من الشمال والشرق المستنقعات، ويمرّ بالقرب من جهتها الشرقية نهر النعامين (نهر بيلوس) ما جعلها تشكّل شبه جزيرة.

لم يكن موقع مدينة عكا الحالي ذات مكان المدينة التي شيّدت فيه قبل خمسة الآف سنة، والذي كان قد أقيم في موقع تل عكا «تل الفخار أو تل نابليون» (حسب السكان المحليين). فقد شيّدت المدينة على مرتفع صخري يصل ارتفاعه إلى 25 مترًا فوق سطح البحر، وهو جزء من سلسلة صخور رملية يمرّ جزءها الشمالي بالمقربة من رأس الناقورة شمالا، وأما جزءها الجنوبي فمغطّى بمياه الخليج. وقد وفّر موقع المدينة بالقرب من ملتقى نهر النعامين وشاطئ البحر الأبيض المتوسط، إمكانية وجود ميناء طبيعي محمي، مما جعلها مكانا استراتيجيًا هامًا على مدى العصور.

سدّ الجَرف الرملي الذي مصدره نهر النيل، بشكل تدريجي جزءً كبيرًا من الخليج، مما أدى إلى ابتعاد الشاطئ عن المدينة بما يقارب كيلومتر واحد. وكان لهذا التغير الأثر الأكبر لنقل موقع المدينة وميناءها إلى مكانهما الحالي في بدايات العصر الهيليني. جميع الأبحاث والحفريات الأثرية الحديثة التي أجريت مؤخرًا في موقع الميناء الحالي لم



شكل 1 - مبنى مرصوف بقطع فخاريه



شكل 2 - بنايتان شكلهما بيضوي، استخدام الجرار الفينيقية المحلية كأساس للجدران



شكل 3 - مبانٍ ذات أشكال مستطيلة تم بنائها من الجرار اليونانية



شكل 4 - قطع فخارية صغيرة تم ترتيبها واستخدامها في البناء

تكشف عن وجود أي أثر للميناء من عصور ما قبل الفترة الهيلينية.

الحفريات الأثرية في تل عكا

لقد أجرى عالم الاثار موشي دوتان من جامعة حيفا اثني عشر موسم حفر في عدة مناطق في تل عكا، بين السنوات 1973 وحتى 1989. وكشفت الحفريات عن بعض البقايا الأثرية من الفترة البرونزية القديمة، تحصينات من الفترة البرونزية الوسطى، المباني السكنية حتى الفترة الهيلينية، وبقايا حضارية متنقلة حتى الفترة العثمانية. في عام 2010 تجدّدت أعمال الحفر في تل عكا، على يد بعثة مشتركة من جامعة حيفا بإدارة ميخال ارتسي، وجامعة بنسلفانيا بإدارة آن كيلبرو، والتي ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا. وقد أظهرت الحفريات لكلا البعثتين على وجود طبقتين يعود تاريخهما إلى الفترة الفارسية، طبقة 5 مؤرخة للفترة الفارسية القديمة (القرن الخامس قبل الميلاد)، وطبقة 4 مؤرخة للفترة الفارسية المتأخرة (القرن الرابع قبل الميلاد). ومن أهم المكتشفات لبقايا الطبقة 4 وجود مبنى يعتقد أنه مبنى إداري وجزء من صحن مصنوع من الفخار، وعليه نقش باللغة الفينيقية (استراكون) الذي يصف قربانًا مقدمًا للإلهة عشتار. ويعتقد الباحثون أنه قد يشير لاحتمالية وجود معبد قريب من الموقع.

البقايا المعمارية من حفرية سكة القطار – «موقع R»

أجرت سلطة الآثار في أواخر عام 2006 حفرية اختبار، التي جاءت بأعقاب مشروع مضاعفة سكّة القطار في عكا وأطلق على الموقع اسم «منطقة R».

يتواجد موقع الحفرية حوالي 450 متر شمالي تل عكا ويبعد حوالي ما يقارب الكيلومتر عن شاطئ البحر. كشفت هذه



شكل 5 - قطع فخارية صغيرة تم ترتيبها واستخدامها في البناء



شكل 7 - غطاء صحن من طراز رسوم الشخصيات الحمراء من أواخر الفترة الفارسية



شكل 6 - عملات نقدية نادرة، مصدرها من آسيا الصغرى

الحفرية أربع طبقات أثرية، أقدمها الطبقة الرابعة، والتي كشفت عن استيطان يعود تاريخه لأواخر الفترة الفارسية. أما في الطبقة الثالثة فقد تم الكشف عن قبور لم يتم حفرها، ويعتقد بأنها جزء من مقبرة كبيرة، تبدأ بالمقربة من المنحدر الشمالي الغربي لتل عكا، وتصل حتى كيلومتر شمالا، والتي يعود تاريخها للفترة الرومانية. اما الطبقة الثانية فقد كشفت عن حفرة مملوءة بحجارة كبيرة، والتي كما يبدو تم اقتلاعها من تل عكا، وتجهيزها لاستخدامها في بناء المدينة في الفترات البيزنطية أو الأموية. وأما الطبقة الأولى والمتأخرة في هذا الموقع، التي كشفت عن جزء من مبنى وساحة مرصفة بالحجارة، يعود تاريخها للفترة الصليبية (من القرن الثالث عشر للميلادي). في هذا المقال سوف نتناول بقايا الطبقة الرابعة من العصر الفارسي المتأخر (أواخر القرن الخامس وحتى أواسط القرن الرابع قبل الميلاد).

الطبقة الرابعة

في هذه الطبقة تم الكشف عن مباني التي تميزت بطراز بناء فريد من نوعه، وذلك بسبب استخدام الجرار الفخارية البحرية، التي تمتاز بقاعدة محدّدة ملائمة لنقل المؤن في السفن، كجزء من مواد البناء. فقد تم إنشاء هذه المباني على تربة مستنقع كبير (لاجونا) كان يغطّي المنطقة من شمال غرب تل عكا. فقد أقيمت المباني باتجاه شمال شرق - جنوب غرب بأشكال مختلفة على هيئة مستطيلات وأشكال بيضوية وأرضياتها مصنوعة من الجص الذي غطى أرض المباني.

تميّز بناء الطبقة الرابعة بأربعة أشكال بناء مختلفة:

1. مبانٍ تتألف من ثلاث غرف تحيط بفناء مرصوف بقطع فخارية، مبنية من حجارة الحقول ذات الأحجام المتوسطة والصغيرة. تم الكشف عن مبنى دائري بالجزء الجنوبي للساحة والذي قد يكون بئر ماء أو خزان لجمع الحبوب (شكل 1).
2. بنايتان شكلهما بيضوي، استخدام الجرار الفينيقية المحلية كأساس للجدران (شكل 2).
3. ثلاثة مبانٍ ذات أشكال مستطيلة تم بنائها من الجرار اليونانية (الأمفورا) (شكل 3).
4. مدخل لمبنى لم يتم حفره، مكون من قطع فخارية صغيرة تم ترتيبها واستخدامها في البناء (شكل 4، 5).

المخلّفات الحضارية المتنقلة

كشف داخل المباني عن بقايا حضارية متنقلة، ذات أهمية لتحديد العمر الزمني للاستيطان خارج حدود تل عكا، والذي يعود إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يتعدى احتلال الإسكندر المكدوني عام 332 قبل الميلاد. بالإضافة إلى الجرار الفينيقية والأمفورا اليونانية التي استخدمت في البناء، تم العثور على جرار فينيقية ويونانية ملقاة على جوانبها داخل المباني. من المكتشفات أيضًا صحون فخارية وخصوصًا (الموريتاريا) الكبيرة، ذات الانتشار الواسع في أواخر الفترة الفارسية، وتعدّ من ركائز مميزات الحضارة المادية المتنقلة لهذا العصر. من أهم المكتشفات داخل هذه المباني وجود طناجر وقدور الطبخ التي تم تصنيعها في اليونان، بالإضافة إلى 63 عملة نقدية نادرة، مصدرها من آسيا الصغرى. كانت بعض هذه العملات تحمل على أحد وجوهها صورة الملك حاملاً القوس والنشاب (شكل 6).

كما كشف عن الأواني الفخارية المزججة والمزينة برسومات باللون الأسود والأواني من النوع المعروف بذات الشخصيات الحمراء (شكل 7)، التي كان مصدرها مدينة آتيكا (أثينا وضواحيها)، هذا النوع من الفخار ذات أهمية كبيرة لدقة صنعه. كما عثر على نقوش باللغة اليونانية على الجهة الخارجية من قاعدة هذه الأواني وبعض الأصداف وعظام الحيوانات.

أورد ذكر عكا المؤرخ ديودور الصقلي (90-60 قبل الميلاد)، الذي أشار إلى استخدام عكا كقاعدة للجيش الفارسي، لإخماد الثورات في مصر. فقد خصّ ديودور ذكر عكا في أحداث عام 374 قبل الميلاد إبان حكم الملك الفارسي ارتركسيركسيس الثاني: «عندما اجتمع جيش الفرس في عكا كان عددهم مئتي ألف بربري بقيادة برنبازوس، وعشرين ألف جندي مرتزقة بقيادة ايفيكراتس، وثلاث مئة سفينة حربية (تيراريما) ومئتي سفينة كل واحدة بثلاثين مجدافا». ويذكر أن الجيش أبحر في بداية الصيف بمرافقة الأسطول البحري إلى مصر.

لم ينجح ارتكسيركسيس الثاني خلال فترة حكمه (404-358 قبل الميلاد) أن يستعيد مصر إلى كنف الامبراطورية الفارسية، وفقط بعد عدة محاولات، نجح ابنه ارتركسيركسيس الثالث الذي اعتلى الحكم في عام 351 قبل الميلاد، أن يستعيد مصر في عام 343 قبل الميلاد كما أخبرنا ديودور.

الخلاصة

لقد أظهرت البقايا الحضارية لموقع حفرية R أن معظم الموجودات في الموقع، والتي مصدرها من اليونان ومنطقة بحر إيجة، وبالأخص طريقة البناء غير المألوفة بالجرار، بالإضافة إلى صحون وقدور الطبخ والعملات النقدية، مما يعزز الاعتقاد بأن المنطقة المحيطة بالتل كانت موقع معسكر للجيش الفارسي، وجنود مرتزقة يونانيين الذين أورد ذكرهم المؤرخ ديودور الصقلي.

فيلا من أواخر الفترة الرومانية في اللد:

أرضيات الفسيفساء الرائعة التي تمّ اكتشافها في سنوات 1996 - 2014

د. أمير كورزلزني – سلطة الأثار
ترجمة د. وليد أطرش - سلطة الاثار

تقع مدينة اللد بقرب الوادي الكبير (أيالون) في منطقة خصبة لسهولة الوصول إلى مصادر المياه. هذه الحقيقة، وموقعها المميز بمحاذاة إحدى شعب طريق البحر القديم الذي ربط مصر مع سوريا والعراق ساعد بازدهارها منذ القدم. تم الكشف خلال التنقيبات الأثرية في اللد عن بقايا من الفترات الحجرية، الكنعانية، الحديدية، الفارسية وفي الفترة الهيكل الثانية كانت مهمة كمركز توراتي كبير، وبلغت أوجها في فترة تمرد اليهود. تغيّر وضعها مع نشوب تمرد باركوخبا (132-135 للميلاد)، مع أن المدينة نفسها لم تواجه الهدم والخراب. بين السنوات 199-200 القيصر سبطيميوس سيفريوس أعطى المدينة اللقب المرغوب فيه كولونيا. بنفس الفترة سكّت المدينة عملات خاصة بها. وبرزت في الفترة البيزنطية كنيسة القديس جوارجيوس في المدينة، وهي تقع بالقرب من الكنيسة الحالية، العائدة بالأصل للفترة الصليبية. أما في الفترة الإسلامية القديمة فقد تراجعت أهمية المدينة بعد بناء مدينة الرملة عاصمة جند فلسطين بمبادرة حاكم الجند سليمان بن عبد الملك.

تم الكشف عن فسيفساء اللد في عام 1996 خلال أنشطة التفتيش الأثرية الروتينية مع وضع بنية تحتية في شارع «هحلوتس». بعد الكشف عن الفسيفساء أجريت العديد من تنقيبات الأنقاض الأثرية، والأولى كانت بإدارة الأثرية مريم أبيسر، كشفت خلالها عن أرضية فسيفساء ساحرة بجمالها، وهي قسم من غرفة الضيافة (تركلين) التابعة لفيلا من الفترة الرومانية المتأخرة (القرنان الثالث والرابع للميلاد) (شكل 1).

في عام 2009، تقرر بناء متحف على موقع الفسيفساء، وأزيلت أرضية الفسيفساء لتفاديها من أضرار البناء، وفي نفس السنة تجددت التنقيبات والحفريات الأثرية في الموقع. بعد إزالة أرضية الفسيفساء أرسلت في جولة استغرقت سنوات عديدة، لتعرض في أهم المتاحف العالمية مثل متحف اللوفر في باريس، المتحف البريطاني في لندن، متحف فيلد في شيكاغو، متحف كولومبوس في أوهايو، متحف برلين، متحف الفن في سان فرانسيسكو ومتاحف كثيرة أخرى في جميع أرجاء العالم. لم يكن لأي معرض آثري صدىً مماثل لما حظيت به هذه الأرضية.

تم تكليف الدكتورة مريم والدكتور أمير كورزلزني، من سلطة الآثار للقيام بالتنقيبات الأثرية في الموقع المعدّ لإنشاء المتحف. وكشفت التنقيبات عن أرضية فسيفساء ساحرة إضافية المسماة الفسيفساء الجنوبية (شكل 2).

عندما انتهت أعمال التنقيب سنة 2014 تمكن الأثريون من الكشف عن أنقاض فيلا فخمة أقيمت على الطراز الروماني ولها عدد من الأقسام، تتوسطها غرفة الضيافة (صالة، تركلين)، غرف سكنية وفناء مركزي تحيط به الأعمدة. لم يُكشف عن الجناح الشرقي بكامله لوجوده تحت البنايات السكنية الحديثة (شكل 3).

الفيلا الرومانية

كُشفت الفيلا الرومانية الفاخرة بشكل تام تقريبا، التي كانت جزءً من حي سكني غني. إضافة إلى أرضيات الفسيفساء الفاخرة عثر على كمية كبيرة من الأواني الفخارية، العملات النقدية، الأدوات الحجرية والقطع الأثرية. وتشير المكتشفات إلى الثروة والرخاء المعيشي لسكان الفيلا الحضرية.

تشمل خارط الفيلا الجناح الشمالي ويضم صالة فاخرة، الجناح الجنوبي ويضم فناء مركزيًا تحيط به الأعمدة، والجناح الشرقي السكني، وفيه غرف أرضياتها مرصوفة



شكل 1 - فسيفساء السجادة الشمالية. تصوير: نيكي دفيدوف، سلطة الأثار



شكل 2 - طلاب جامعة رنمين (بكين- الصين)، يساعدون بتنظيف الفسيفساء الجنوبي. تصوير: د. أمير كورزلزني

بالفسيفساء، عالية الجودة ومزينة بأشكال هندسية.

الفسيفساء الشمالية (الصالة، التركلين)

مساحتها 153 متر مربع (9 × 17 م) وهي من الفسيفساء الرومانية الأكبر في البلاد التي كشف عنها حتى الآن. أرضية الفسيفساء مقسّمة إلى ثلاث سجّادات مربّعة: السجادة الشمالية مزينة بتسعة أشكال هندسية مسدسة وبنصفي مسدسَين مرتبين بصفين، وبداخلهما لوحات تصف صراعًا بين الحيوانات أو صيد الحيوانات، الأسماك البحرية، الطاؤوس، الدجاجة وحولها فراخها، سلة مليئة بالأسماك وهذه السجادة محاطة بشريط مزيّن بأشكال من عالم النباتات.

فسيفساء السجادة المركزية (شكل 4) مزيّنة بمضلّع من أثني عشر ضلعًا وفي داخله مثمّن محاط بمربّعات ومثلّثات متساوية الأضلاع. المثلّثات مرتّبة بمجموعات، كل ثلاثة مع بعضها حول المثمّن وتفصل بينها مربعات من أربع الجهات. بكل مجموعة من مجموعات المثلثات ومن المثلث المركزي رسم سمكة والبقية رسم الطيور.

زينة المربعات التي تفصل بين مجموعات المثلثات بلوحات صيد حيوانات، كلب رابض لأرنب يأكل العنب، وزوج من النمور تتسلّق خزفة. المثمّن المركزي مزين بثلاثة أزواج من الحيوانات، أسد ولبؤه متقابلان كل منهما رابض فوق صخرة كبيرة (شكل 5). بين الصخرتين نرى النهر أو المستنقع وبداخله حيوان مائي ميثولوجي المعروف باسم كاطوس. تحت الصخرتين يوجد وصف لفيل، ثور، نمر، وحيد القرن وزرافة.

اللوحة الجنوبية مزينة بلوحة من عالم المياه، مجموعة من الحيوانات البحرية موزّعة على كل أنحائها، وهي تسبح باتجاهات مختلفة، كما يوجد وصف لأصداف بحرية مختلفة. مجموعة السمك تسبح حول قاربين شراعيين اللذين كانا قلب الأسطول التجاري الروماني في البحر الأبيض المتوسط.

فسيفساء السجادة الجنوبية مكونة من لوحتين، الشمالية منها مزينة بتسعة طيور مختلفة واقفة على



شكل 3 - تصوير جوي للحفرية بنهاية موسم 2014. تصوير: سكاي فيو



شكل 4 - الجزء المركزي لفسيفساء السجادة الشمالية. تصوير: نيكي دفيدوف، سلطة الأثار



شكل 5 - الجزء المركزي لفسيفساء السجادة الشمالية. تصوير: نيكي دفيدوف، سلطة الآثار

غصون أشجار، مرتبات برفين وتنظر نحو اتجاهات مختلفة. كانت اللوحة محاطة بأشكال هندسية على هيئة معين أحمر وفيها نقاط باللون الأبيض. أما اللوحة الجنوبية فمزيّنة بإكاليل أو نجوم سداسية الشكل، وداخلها حيوانات مختلفة مثل: الأسماك، الطيور، النمور والأسود.

فسيفساء الفناء المركزي

تم الكشف عن أرضية الفسيفساء الملونة ولها عدة أشرطة خارجية مستطيلة الشكل (8 × 9 م) وفي داخلها ثلاثة صفوف لمداليات مثمّنة الشكل، وفيها لوحات من عالم الأحياء ولوحات صيد وصراع بين الحيوانات (شكل 6).

الخلاصة

كانت الفيلا بمثابة بيت في حي فاخر من الفترة الرومانية. إذ عثر في الموقع على العديد من القطع الأثرية، التي تعود إلى الفترة الرومانية المبكّرة وحتى القرن العشرين. إن أرضيات الفسيفساء الفاخرة وعالية الجودة، وبعض مواد الخام الثمينة، التي استخدمها الفنانون في الفيلا، تشهد بالإضافة إلى النتائج التي توصّلت إليها دراسة الفسيفساء، إلا أن هذا الطراز يعود لتكنولوجية بناء ومدرسة فنية مميزة.



شكل 6 - جزء من الفسيفساء الجنوبي. تصوير: د. أمير كورزلزني

الشامانية – المطبّبة بالسحر، من الجليل الأسفل

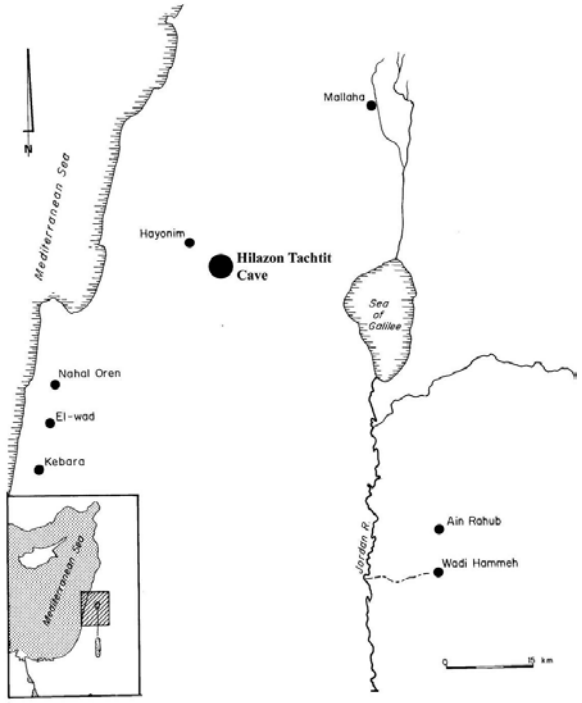
د. ليؤر غروسمان - الجامعة العبرية

طرأت خلال الحضارة النطوفية في المشرق (15،000 - 11،600 قبل عصرنا)، تغييرات كبيرة في ممارسات شعائر الدفن، مع زيادة ملحوظة في عدد المدفونين مقارنة بالفترات السابقة. اليوم، نعرف أكثر من 400 مدفن في المواقع التي هي جزء من مقابر، وبعضها عبارة عن مزيج من المناطق السكنية، إلى جانب منطقة الدفن المحدّدة. وغالبًا ما يرتبط هذا بالمتغيرات في النظم الاقتصادية والاجتماعية، في نهاية الانتقال من استراتيجية المعيشة من الصيد والمعيشة من الكفاف الزراعي. كان «النطوفيين» أول من اختار السكن بشكل دائم لبعض الوقت، مما أدّى إلى تغيير النظم الاجتماعية لتمكين وجود مجتمع مستقرّ لفترات زمنية أطول. وعلى الرغم من ذلك، لا يوجد حتى الآن أي دليل على التقسيم الطبقي الاجتماعي خلال هذه الفترة، ويفترض معظم الباحثين أن النطوفيين حافظوا على نظام اجتماعي قائم على المساواة، والذي يميّز عمومًا الصيادين الجامعين. ومع ذلك، يمكن الافتراض أن السلوك اليومي مع الأشخاص الذين ليس لديهم علاقة قربى بالدم، بمرور الوقت، يستلزم بناء نظام اجتماعي صالح يرتبط بالنظرة والمفهوم، ونظام المعتقدات لدى المجموعة المعنية. إن استعادة نظام المعتقدات في عصور ما قبل التاريخ تعتبر مهمة شاقة، لأن الوثائق الأثرية تحافظ فقط على العناصر المادّية للماضي. توفّر الاكتشافات الفريدة في موقع الدفن في كهف حلزون، أدلّة جديدة حول طبيعة هذا النظام خلال فترة مهمّة في تاريخ المنطقة.

يقع كهف الحلزون السفلي على المنحدرات الشمالية لجدول حلزون في الجليل الغربي (شكل 1). ويشرف الكهف على قمة جرف، بارتفاع 150 مترًا فوق الجدول، وتتجه فتحته نحو الشرق (شكل 2، 3). في حوض داخلي صغير (30 مترًا مربعًا) الذي تمّ تحديده بواسطة صخرة الكهف، واكتشاف الطبقة الناطوفية التي يعود تاريخها إلى حوالي 12.000 سنة.

التاريخ وطبيعة المحتويات تشير إلى أن الكهف كان يستخدم في المراحل المتأخرة من الحضارة النطوفية في منطقتنا. واستخدم الكهف الصغير لدفن لا يقل عن 28 شخصًا.

تم الكشف عن مبنيين دائريين صغيرين (قطر 1-1.5 م)،



شكل 1 - موقع كهف حلزون السفلي في جنوب بلاد الشام وعدد من مواضع الدفن النطوفية في تلك الفترة (رسم بيتر غروسمان)

وقد بنيا من الحجارة المحلية غير المصقولة ومن الصخر. قطر المباني الضيّق جدًا لا يمكن استخدامه للسكن والمعيشة، ويبدو أنه استخدم لأنشطة أخرى (شكل 4). يوجد في وسط كل مبنى سطح للعمل، وتناثرت حوله قطع عديدة من الصوان وعظام الحيوانات.

في الجزء الداخلي من الكهف، المحاذي للمبنيين، ثلاثة مدافن جماعية بمساحة إجمالية تبلغ مترين مربعين. جرى دفن ما لا يقلّ عن 25 شخصًا من جميع الأعمار في هذه المدافن – من الأطفال، الأولاد، المراهقين والبالغين. أجزاء من هياكل عظمية بقيت في المدفن بحالة كاملة، مثل اليدين والقدمين، ولكن فقدت أجزاء عديدة، وخاصة العظام الطويلة والجماجم. وبالاعتماد على المقارنة مع مصادر المعلومات عن الصيادين المعاصرين، بالإمكان تجميع هذه العظام، بعد تلف الأنسجة اللينة، بمرور سنة على وفاة الإنسان. وهكذا، بعد سنة عاد النطوفيين



شكل 2 - كهف الحلزون السفلي (تصوير نفتالي هيلغر)

إلى الكهف، فتحوا هذه المدافن وجمعوا بعض هذه العظام المدفونة. وعثر على مدافن ثانوية لعظام الأطراف والجماجم في مواقع أخرى، وهذا هو تقليد معروف من مواقع نطوفية أخرى من ذات الفترة.

تم العثور على ثلاثة مدافن أوّلية كاملة في محيط المباني، الأول في الجزء العلوي من سلسلة النطوف في الكهف. إنه هيكل عظمي لشخص بالغ شاب وضع منحنيًا على جانبه الأيمن، وكلتا يديه تحت وجهه. عظام عديدة مفقودة بسبب الاضطرابات التاريخية في وقت لاحق. وعثر على عظام لجنين / مولود بيوم ولادته في منطقة الحوض بين رجلَي المتوفي، لذلك يفترض أنه قد يكون لأمٍ وطفلها. المدفونان الآخران اللذان ينتميان إلى مرحلة سابقة يقعان في منطقة المبنيين A و B. تم الدفن في المبنى B بعد استخدام المبنى لأغراض معينة، بينما عملية الدفن في المبنى A سبقت استخدام المبنى. لذلك يبدو أن الدفن في المبنى A كان الأقدم في الموقع.

الدفن في المبنى A يقع في شقّ بيضوي منحوت في الصخرة الأصلية للكهف، في طبقة القاعدة النطوفية. وختم القبر بلوح حجري مثلث (40X75 سم). وتظهر على جدران القبر علامات واضحة تدلّ على معاملة خاصة بالقبر أو بالميت.

وتبيّن من التحليل المعدني أن المواد التي غطّت جدران القبر كانت من الطين الجيري، وجرى جمعه على مقربة من الموقع. وألصقت ألواح حجرية صغيرة على الطين، وشكّلت حائطًا ثابتًا وأرضية متينة للقبر. وضعت على الأقل 10 أحجار مباشرة على المتوفية أثناء الدفن. كما ضغطت الحجارة على الرأس والحوض واليدين بعد فناء الأنسجة الليّنة لأجزاء من الهيكل العظمي، وخاصة في العمود الفقري والحوض. بالإضافة إلى أن وضع المدفونة لم يكن عاديًا، إذ كانت ترقد على جانبها وملاصِقة لحائط القبر المستدير، وهي متباعدة الساقين نحو الوجه.

بناءً على تحليل عظام الهيكل، تبيّن أن المدفونة هي امرأة كانت في الخامسة والأربعين من عمرها، عانت من إعاقات جسدية ومظاهر العجز بادية عليها، وعانت من آلام مزمنة. كما يبدو أنها كانت عرجاء، لم يزد طولها عن أكثر من متر ونصف، ولم يكن مظهرها العام جذّابًا.

وضعت في القبر أجزاء من حيوانات مميّزة، لم تظهر في القبور المماثلة (أو سواها، في تلك الفترة في العالم): قرابة 90 درع سلحفاة (شكل 5)، وعظم الحوض لنمر (شكل 6)، عظام خنزير برّي، وعظام ذيل ثور برّي، وجماجم سمّور وعظام أجنحة نسر. واستنادًا إلى اكتشاف عظام أجنحة



شكل 3 - كهف الحلزون السفلي المشرف على جدول الحلزون (تصوير نفتالي هيلغر)

النسر وجماجم السمّور فوق المتوفية، يبدو أن المرأة كانت مغطاة بريش جناح النسر وفراء السمّور.

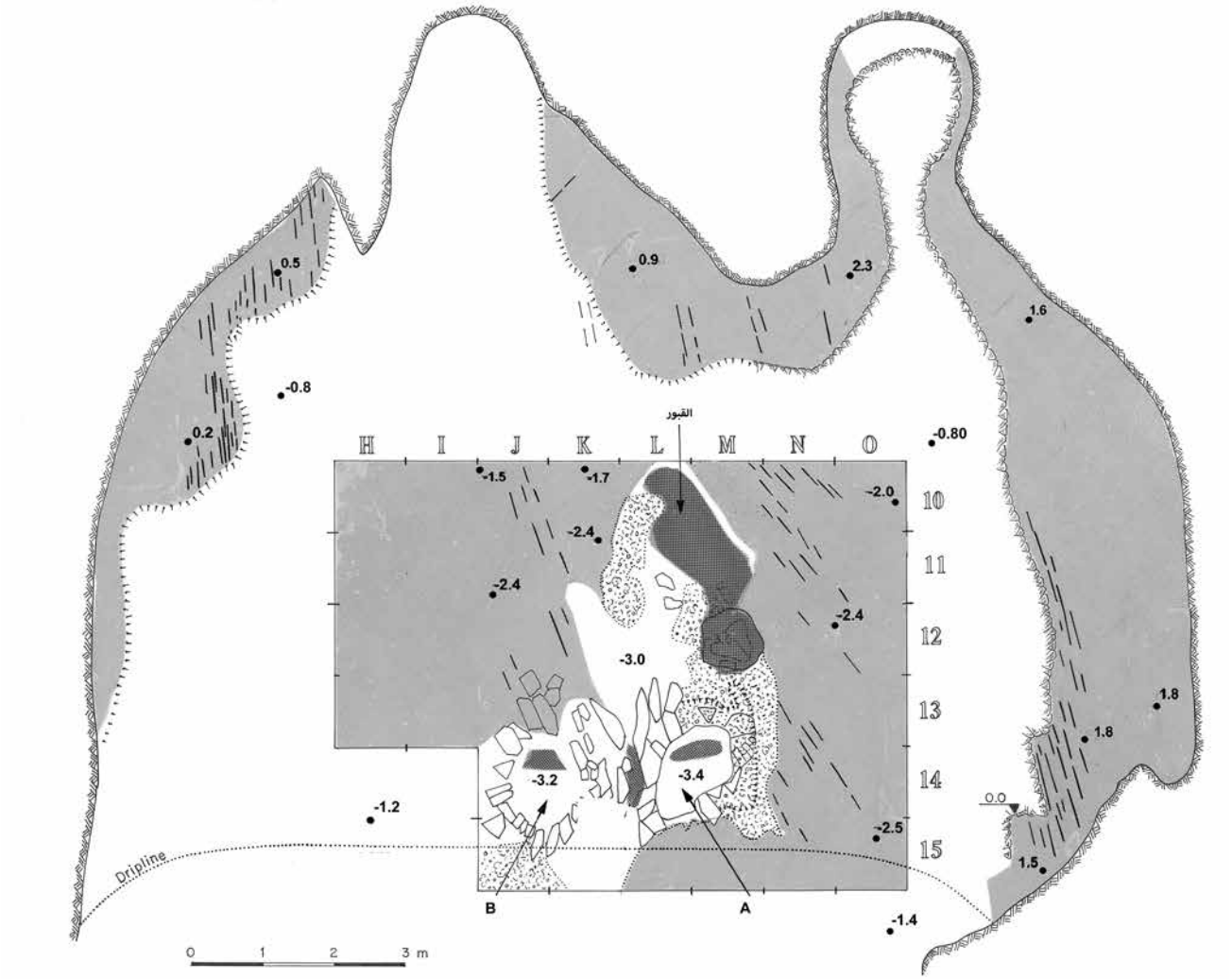
وضعت دروع سلاحف كاملة على جميع جوانب المدفونة. وعظام أخرى للسلاحف، خاصة تلك الموجودة على البطن، تدلّ على أن السلاحف «تم تفكيكها» أثناء الدفن وألقيت أجزاء منها (عظام الأطراف لما لا يقل عن 30 سلحفاة) في القبر، كجزء من الشعائر التي صاحبت مراسم الدفن. عظام الخنازير المذكورة سابقًا جرى تحطيمها لاستخراج النخاع العظمي منها قبل وضعها تحت يد المتوفية، وهذا دليل إضافي على ممارسة الطقوس أثناء الدفن.

عثر داخل القبر بالإضافة إلى ذلك، على العديد من العناصر المميّزة، مثل حطام أوعية بازلتية، وعاء عظم مدبّب وعلامات الضرب عليه. وفوق كل العناصر الأخرى، وقبل وضع اللوح الحجري المثلّث، وضعت قدم إنسان في القبر (عدا عن المتوفية)، والقدم لشخص بالغ، كان أكبر بكثير من المرأة المدفونة.

لا مثيل للدفن في المبنى A، كما في قبور الناطوفيين العديدة التي حفرت (حوالي 500) أو من غيرها من الفترات في العصر الحجري القديم. بما أن المرحلة الناطوفية تعتبر فترة انتقالية اقتصاديًا واجتماعيًا، فلا عجب أن يتم العثور على شعائر دفن جديدة فيها. على سبيل المثال، فإن السكان الناطوفيين هم أول من دفنوا موتاهم بشكل منهجي في محيط المناطق السكنية. في جزء من قبور الناطوفيين عثر على اكتشاف فريد، يشمل الحلي، العظام، الأواني الحجرية وأحيانا الحيوانات الكاملة أو أجزاء من الجسم. ومع ذلك، فإن الدمج بين خصائص القبر في المبنى A هي فريدة.

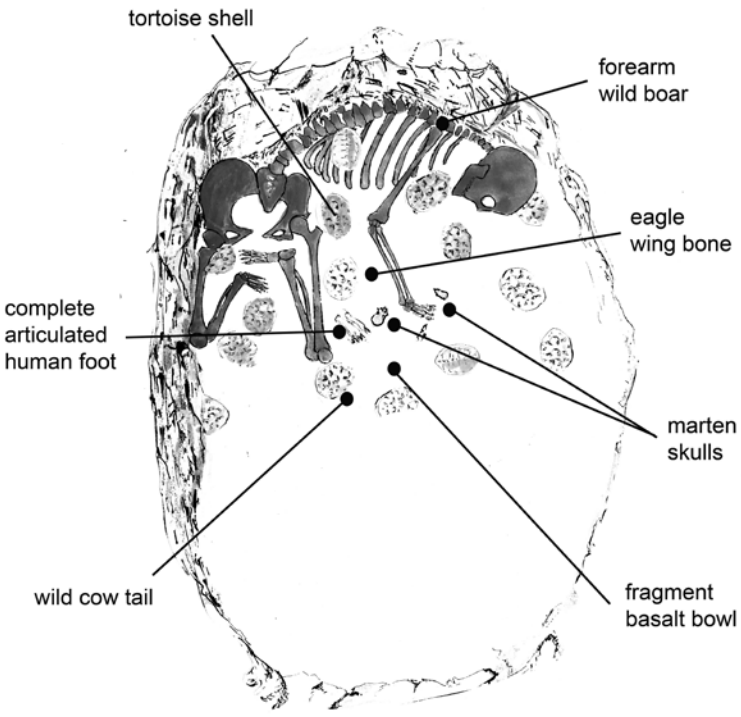
من دون شك استثمر الوقت والطاقة في إعداد، تنظيم وختم القبر إلى جانب المعاملة الخاصة للمدفونة، وتنطوي على تصفيف الحجارة فوق جثمانها في وضع معيّن، أو للحفاظ على الجثمان في القبر. وأخيرًا، فإن الموقع يرتفع نحو 150 مترًا فوق قاع الجدول، ويستلزم قدرًا كبيرًا من الاستثمار في جلب المدفونة إلى الكهف. طابع الدفن، ومحتوى القبر والجهود المبذولة في تصميمه تشير إلى أن هذا الدفن هو لامرأة ذات مكانة مرموقة جدًا في المجتمع، وربما مطبّبة بالسحر. يلعب المطبّبون دورًا رئيسيًا في المجتمع، في التجسير بين الكيانات الروحية والعالم الأرضي بشكل عام، وبين أعضاء المجموعة وظروف حياتها. تم استخدام المطبّبين على مرّ العصور كممثلين للجماعة، كمعالجين وسحرة. وتختلف مدافن المطبّبين باختلاف الأدلّة الإثنية، ولكن بما أن المطبّبين ذوو مكانة مميّزة في المجتمع فقد حظوا بمعاملة مختلفة بوفاتهم، عن باقي أفراد المجتمع. في كثير من الحالات، تمّ دفن المطبّبين جنبًا إلى جنب مع العناصر التي تشهد على قدراتهم الروحية، وخاصة العلاقة مع الكيانات وعوالم الحيوان، التي طلب المطبّب مساعدتها. كما تظهر الأدلة الإثنية أن هناك العديد من الحالات التي يعاني فيها المطبّبون من إعاقة جسدية شبيهة بتلك المدفونة في المبنى A.

يبدو أنه جرى نشاط شعائري واسع النطاق في كهف الحلزون السفلي. بالإضافة إلى ذلك، يشير موقع الكهف إلى قمة جرف في قلب مستوطنة ناطوفيا إلى أهمية الموقع بمحتوياته ومقابره. وتكمن أهمية هذا المكتشَف في فهم المراحل الثقافية التي رافقت التغيرات في نمط الحياة في



شكل 4 - خريطة منطقة الحفر في كهف الحلزون السفلي (رسم بيتر غروسمان)

الحضارة النطوفية، والتغييرات التي تتعلق بالانتقال من طريقة قديمة للحياة، بالتنقّل والبداوة، إلى نهج حياة الاستيطان الدائم، وحتى الزراعة، حيث استُبدلت الحياة الناطوفية بحضارات العصر الحجري الحديث، ومن الواضح أنها حضارات المجتمعات الزراعية. إن حالة عدم اليقين وعدم الاستقرار التي تنطوي عليها الفترات الانتقالية تؤدي إلى ممارسة ظواهر اجتماعية وإنسانية جديدة، وغريبة في كثير من الأحيان. إن الحاجة إلى التكيّف مع الظروف الجديدة والبيئة الجديدة تقود إلى إنشاء مكوّنات اجتماعية جديدة ومعقّدة، وكذلك إلى تجديد الثقافات البشرية واستبدالها. هذا التعقيد يتطلب ظهور الفرد الذي من شأنه أن يربط ويتوسّط بين مختلف العوالم التي كانت سائدة في عالم الإنسان. والنتائج التي تمّ التوصل إليها من الحلزون السفلي هو أقدم دليل في منطقتنا على هذه الظاهرة.



شكل 5 - خريطة القبر والتفاصيل المميّزة التي وضعت فيه



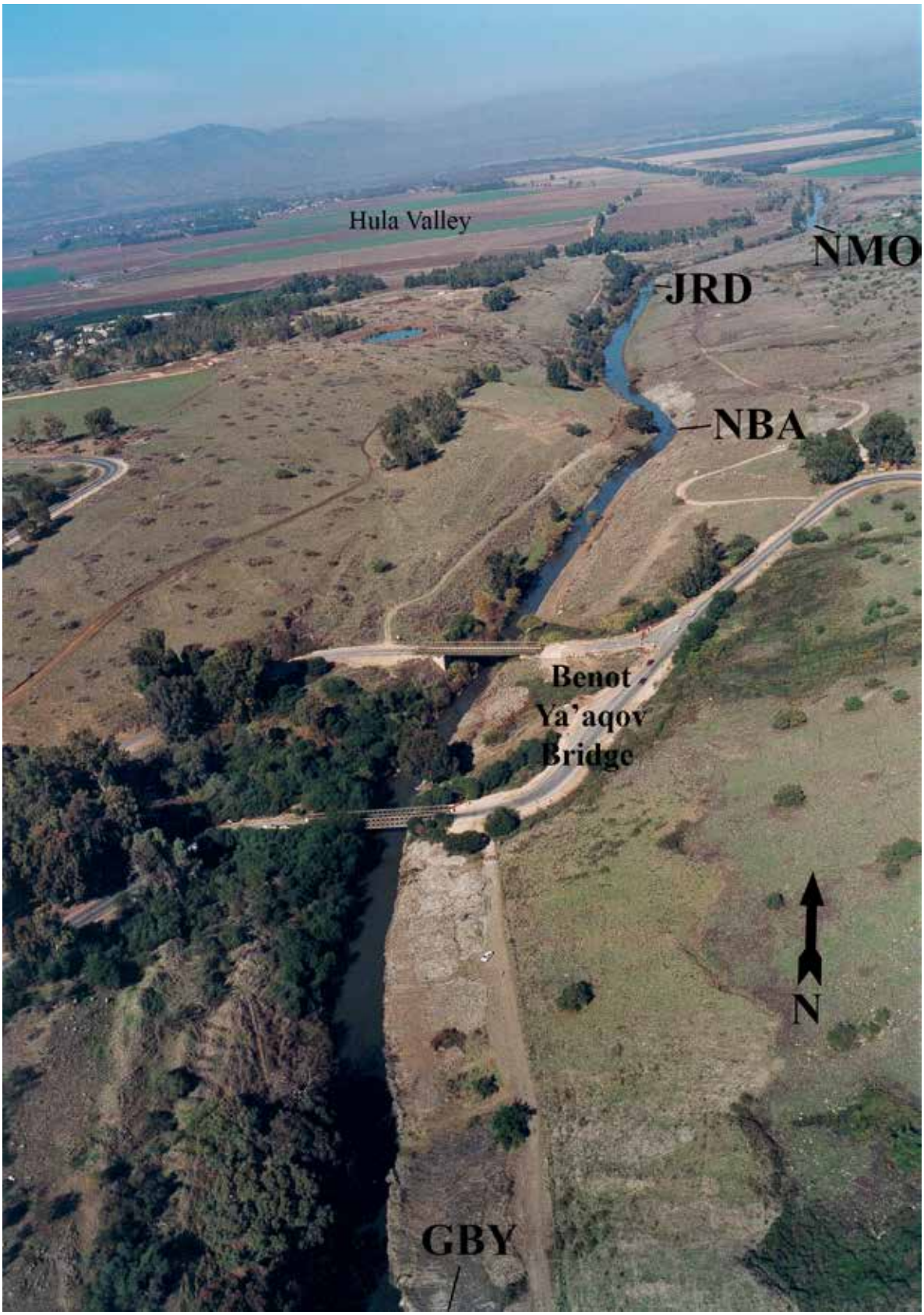
شكل 6 - دروع سلاحف وجدت على جوانب المدفونة في القبر (تصوير – جدعون هرتمان)



شكل 7 - عظم الحوض لنمر

نهر الأردن ما قبل التاريخ بخروجه من وادي الحولة مليون سنة الأولى

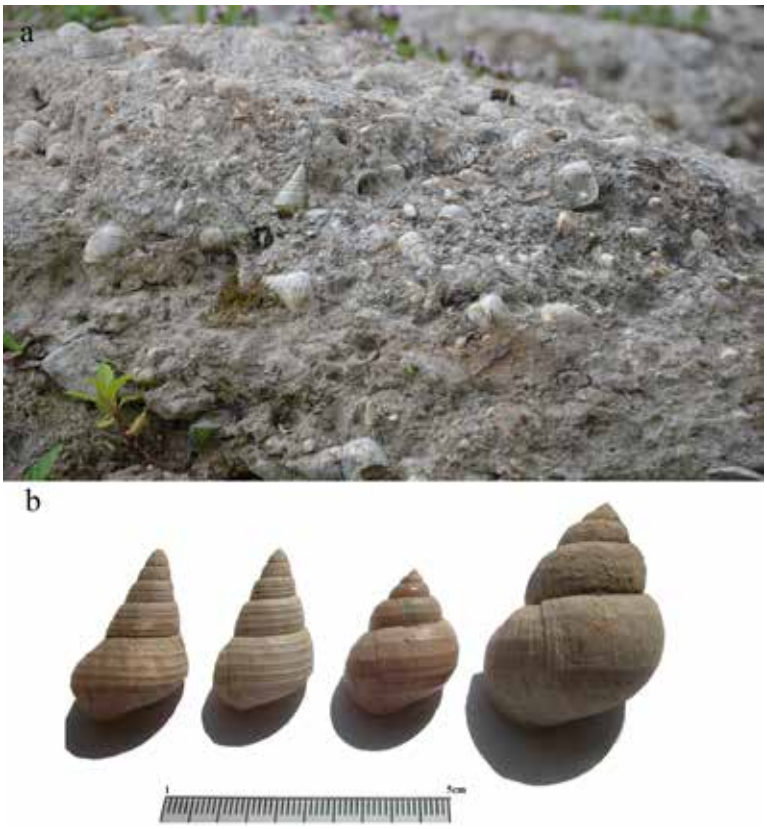
د. غونين شارون - الكلية الأكاديمية تل حاي



شكل 1 -تصوير جوي لنهر الأردن

لمصادفة محظوظة من التكتونيات، المؤلّفة لقشرة الأرض، والبراكين والجيومورفولوجيا. بادئ ذي بدء، يتدفق نهر الأردن في قناة يفرضها الشقّ الجيولوجي الهائل الذي يخلق الصدع. في الواقع، يجري الأردن بين صفحتين تكتونيتين، تتباعدان عن بعضهما البعض، بحيث تعود ضفّتها الغربية إلى الصفحة الأفريقية، بينما الشرقية، تبعد عنها أقل من عشرة أمتار، وهي أطراف الصفحة الغربية (شكل 1).

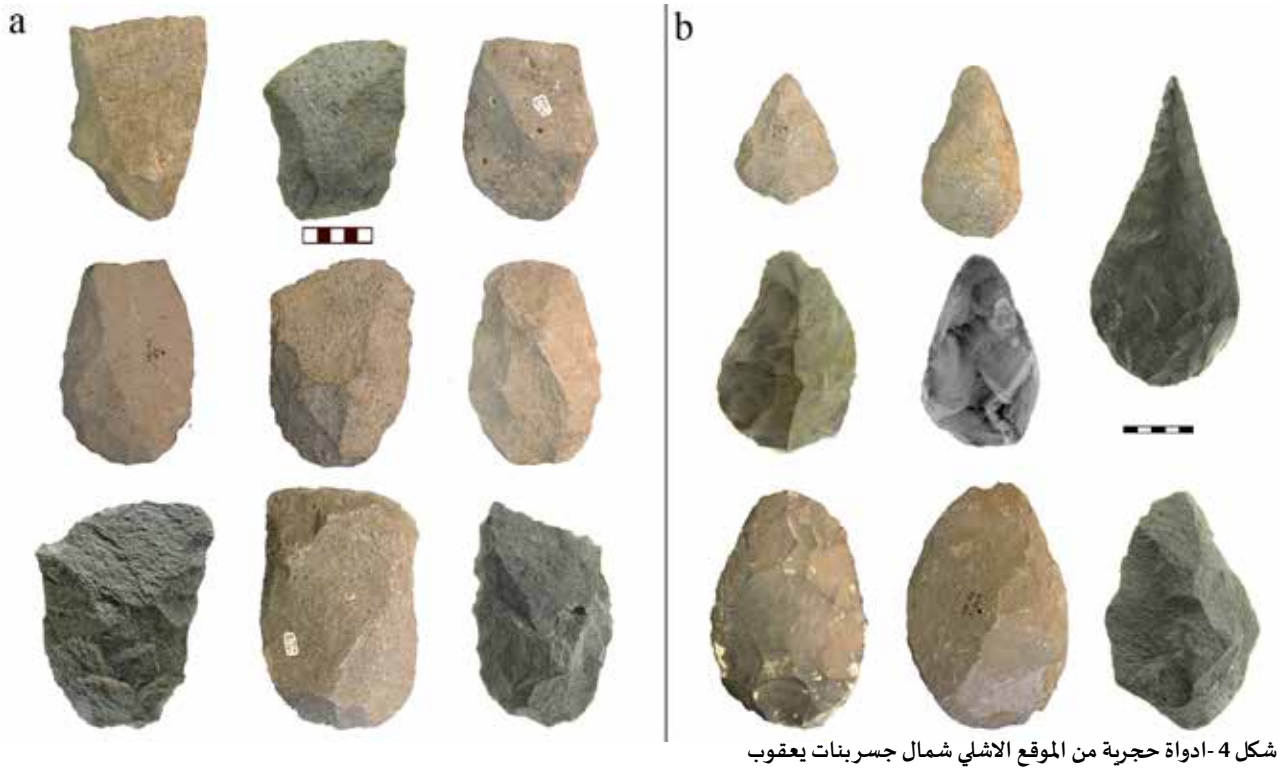
أدّت ظروف جيولوجية فريدة إلى تسوية الطبقات الأثرية في جميع المواقع على ضفاف نهر الأردن بالتربة المشبعة بالمياه، وبقيت مشبعة منذئذٍ وحتى كشفها بأعمال الحفر. خلقت تغطية المياه ظروفًا لا هوائية حالت دون تطوير الفطريات التي هي المفتتة الرئيسية للمواد العضوية، وهكذا حفظت النباتات والأشجار والأغصان والبذور والفواكه وسائر أجزاء النباتات، ودفنت أثناء تشكيل الموقع. هذه الصدفة الفريدة تتيح استعادة النباتات في منطقة الموقع، وتمنح مجالا



شكل 2 -اصداف متحجرة بموقع جسر بنات يعقوب



شكل 3 -موجوداة حجرية واصداف اكتشفت عام 1999



شكل 4 -ادواة حجرية من الموقع الاشلي شمال جسر بنات يعقوب

لفهم الظروف المناخية والبيئية التي عاش فيها الإنسان في وادي الحولة، في أواخر العصر الجليدي الأوسط والمتأخّر. إن ظروف الحفظ هذه نادرة للغاية في العالم كله، وهي من بين العوامل الرئيسية التي تجعل المواقع في منطقة جسر بنات يعقوب ذات أهمية عالمية.

إن الموقع الأهم الذي تمّ مسحه على ضفاف الأردن الأعلى هو موقع الأشلة جسر بنات يعقوب. وتشمل هذه النتائج من الموقع أقدم دليل على السيطرة على النار خارج أفريقيا، جمجمة فيل قام باصطياده وذبحه سكان الموقع، وبقايا الجوز، ومكسّرات الجوز القديمة ومجموعة متنوعة من الأواني الحجرية الفريدة. وقد نشرت هذه المكتشفات على نطاق واسع في أفضل المجلات العلمية، وفي سلسلة من المؤلفات. هنا سنركز على استعراض المكتشفات من المواقع الأخرى على ضفاف نهر الأردن.

أجرت هيئة تصريف مياه طبريا، في عام 1999، عملية واسعة النطاق لتعميق وترتيب قناة الأردن في القوس، بين جسر السدّاد وحصن عتيرت. ألحقت الأعمال أضرارًا بالغة للمواقع الأثرية على طول نهر الأردن، واكتشف العديد من المواقع الجديدة. ومن بين هذه المواقع نذكر استمرار موقع الأشلة شمالي الجسر، موقع الفرسان في مخرج جدول محنايم وموقع التحصين الموسّع من العصر الحجري دريجات الأردن. وفيما يلي استعراض للنتائج الرئيسية لهذه المواقع الفريدة:

المواقع من العصر الحجري القديم الأدنى - الحضارة الأشلية

ظهرت مكتشفات جسر بنات يعقوب من عصر البليستوسين نتيجة جريان نهر الأردن، على مساحة نحو ثلاثة كيلومترات من الحافة الشمالية لحصن عتيرت الصليبي. طبقات هذا المكتَشف خضعت لتغيّرات تكتونية حادّة منذ أن ترسخت، وهي مائلة بزوايا حادّة تزيد عن 45 درجة. العلامة الجيولوجية المميّزة لطبقات تكوين «بنات يعقوب» (متحجّر إرشادي) هي وجود المحار Viviparus apamea، والمتواجد بوفرة هائلة في هذه الطبقات. في بعض الأحيان، تتكون الطبقات بشكل رئيسي من قواقع هذه المحار وسائر الرخويات، وتنتج القواقع (Coquin صخر مبني من القواقع) التي هي السمة المميزة لتشكيل «بنات يعقوب».

موقع الحضارة الأشلية شمال جسر بنات يعقوب (NBA - Acheulian Bridge)

أثناء أعمال الصرف في كانون الأول / ديسمبر 1999، أصيبت الطبقات التي تحمل الآثار بأضرار بالغة شمال جسر بنات يعقوب. حفرت الجرارات في طبقة سميكة التي تنتمي إلى تكوين بنات يعقوب، بما في ذلك العديد من الأواني الحجرية وعظام الحيوانات، بضمنها الأفيال (شكل 3).

أجريت حفرية محدودة في عام 2002 من أجل فحص الآثار المتضررة، على مساحة قدرها 1.5 مترا على بعد 600 مترًا شرقًا وإلى الشمال من جسر بنات يعقوب. وكشفت الحفريات عن الأفق



شكل 5 -الموقع المستيري بمخرج وادي محنايم لنهر الأردن وكومة حجارة البازلتية

الأثري الغني جدًا في آنية حجرية تقع فوق كتلة من البازلت (شكل 4). يمكن تأرخة تدفقات البازلت بطريقةٍ تقيس اضمحلال نظائر الأرجون. تعتبر هذه الطريقة ذات دقّة عالية. وبعبارة أخرى، يمكن تحديد عمر الطبقة الأثرية. وتحدّد عمر البازلت بنحو 665 ألف سنة قبل عصرنا. هذا هو التاريخ الوحيد بموجب المقياس الإشعاعي من موقع الأشلة على الإنترنت حتى الآن. ظهرت في الموقع عظام أفيال وجمعت عظام أخرى كثيرة من الأكوام التي خلّفتها الجرارات. تشبه الأواني الحجرية في الموقع إلى حد كبير تلك التي حُفرت في موقع جسر بنات يعقوب، وقام بها أشخاص استخدموا نفس التكنولوجيا ونفس المواد الخام. الأدوات الرئيسية هي حجارة اليد والسكاكين، وأدوات قصّ ضخمة جدًا مصنوعة من الحجر، ومعظمها البازلت. هذه المواقع في منطقة جسر بنات يعقوب هي الوحيدة في الشرق الأوسط حيث صنعت فيها سكاكين البازلت. أدوات مألوفة لدينا من مواقع في أفريقيا وكذلك في القوقاز والهند. من الممكن إذن الاعتقاد بأن سكان جسر بنات يعقوب القدماء كانت لديهم تقاليد تكنولوجية متجذّرة في أفريقيا، وتمثّل موجة من الهجرة عبر ممرّ المشرق، ووصلت إلى الهند في الشرق وإسبانيا في الغرب.



شكل 6 -عظام بقرة

الموقع الموستيري في مصب جدول محنايم

اكتشف الموقع الموستيري في مخرج جدول محنايم إلى الأردن في عام 1999 أثناء أعمال تصريف المياه في قناة نهر الأردن (شكل 5). أجري مسح في المنطقة بعد العمل لفحص نتائجه. واكتشف في هذا المسح العديد من أدوات الصوان، التي كانت تعود بمعظمها إلى ثقافة الموستيري، من فترة العصر الحجري القديم الأوسط. افتتح الموسم الأول من الحفريات في الموقع عام 2007، وجرى الحفر في كل فصل صيف لمدة 8 مواسم، وانتهت في عام 2014.

جرت تأرخة الموقع بطريقة OSL، التي تفحص حبيبات الكوارتز في التربة، لتحديد الموعد الأخير الذي تعرّضت فيها للضوء. تدلّ النتائج أن طبقات الموقع كانت مغطاة قبل حوالي 60 ألف عام من وقتنا. وكشفت الحفريات عن مخيّم قصير الأمد للصيادين الذين توقفوا على شاطئ بحيرة الحولة القديمة. ووفقا للأواني والعظام التي خلّفوها وراءهم، يبدو أنهم كانوا يصطادون الأبقار العملاقة (الجواميس) التي عاشت في وادي الحولة. عظام هذه الأبقار أكبر بثلاث مرات من عظام الأبقار الحديثة (شكل 6). إذا كان وزن البقرة البلدية، التي ترعى على سفوح الجولان اليوم، يبلغ حوالي 400 كغم، فالحديث يتعلق بالأبقار التي يتجاوز وزن كل منها الطنّ الواحد. وهذا الوزن كان مألوفًا لحجم بقرة برّية من أرض إسرائيل التي كانت ضخمة جدًا. وبعد التدجين (قبل نحو 8 آلاف سنة) أصبحت الأبقار صغيرة جدًا، لأنه من العسير السيطرة على الأبقار العملاقة.



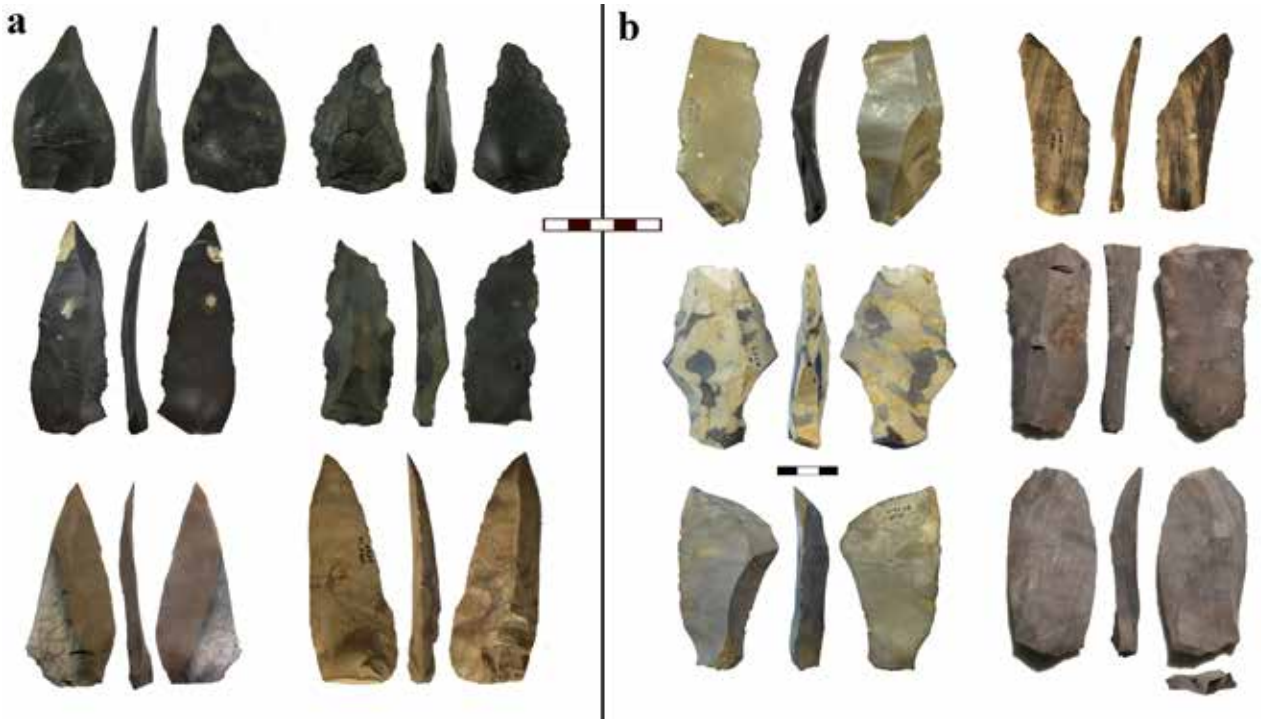
شكل 7 -عظام أسد

الابقارالبرّية الضخمة انقرضت كلها من العالم. ويبدوأن الأشخاص الذين خيّموا في الموقع اصطادوا الأبقار الضخمة وقطّعوا لحمها في الموضع. وكشفت في هذا الموقع أيضا عظام حيوانات كثيرة غيرها، مثل: الأيائل، الغزلان، الخنازير البرية، الذئاب، الطيور المائية، الطيور الجارحة، القوارض، البرمائيات، الزواحف وسواها. المكتشفات الجديرة بالذكر هي العظام الفردية لوحيد القرن في الطبقات العليا من الموقع (يظهر وحيد القرن في مواقع عديدة، من الفترة الموستيرية. الأفيال إزاء ذلك، اختفت تماما خلال هذه الفترة)، عظام سلاحف عديدة تبيّن أن الإنسان قد أكلها، من ضمن عظام البرمائيات الكثيرة، نشير إلى عظام الحيوانات المستديرة اللسان (عمليًا فإن عظام حيوان برمائي اسمه لتانيا وجدت في سهل الحولة، وهو المكان الوحيد في العالم الذي نجا فيه هذا النوع من الحيوانات). غالبية عظام البرمائيات في الموقع تنتمي إلى ضفدع الجداول، مما يدل على وجود مجسّم من الماء الدائم بالقرب من الموقع، لأن العلجوم على عكس الضفادع، مثلا، فالضفادع لا تعيش من دون ماء.

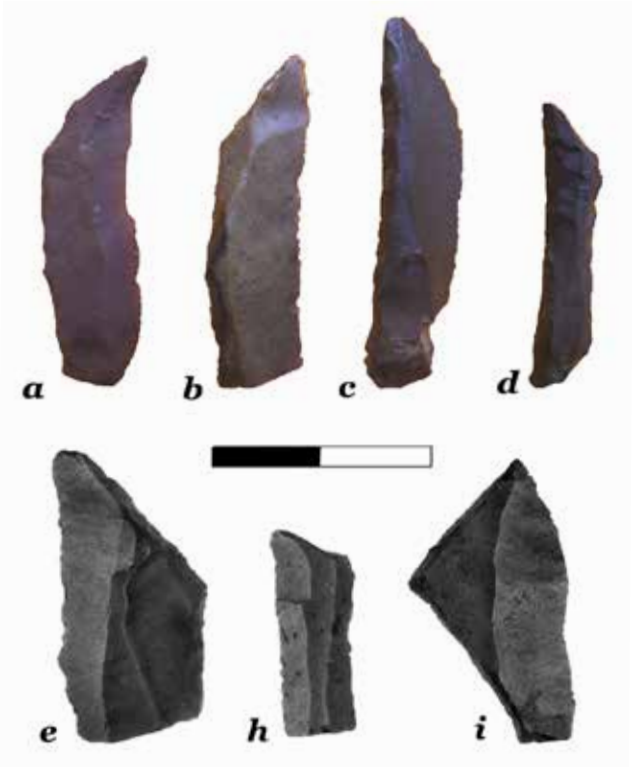
أحد المكتشفات المدهشة ظهرت بمسح سبق الحفر. عُثر داخل الوحل الأسود على عظام الجمجمة والورك لأسد ضخم جداً في الطين على ضفاف نهر الأردن (شكل 7). وبما أن عظام الأسد لم تتكشّف في الحفريات، فمن الصعب تحديد كيفية وصول العظام إلى الموقع، وما إذا كانت مرتبطة بالنشاط البشري.

تشير نتائج الحفريات إلى أن قاعدة الطبقات في الموقع كشفت عن طبقة من الحصى البازلتية الكبيرة، التي تشكّل تلّة. يبدو أنه تم نقل البازلت هنا بالماء. لا يعرف متى وكيف أصبحت كومة البازلت تلّة. ويمكن القول إنه عندما وصل الصيادون القدماء إلى شواطئ البحيرة، صادفوا كومة من البازلت المرتفعة نحو مترين وأكثر فوق السطح. وربما عرف الصيادون القدماء هذا التل كمَعلم عالٍ لضفّة البحيرة، ومكمنٍ مناسب للصيد أوعلى الأقل موضع لتقطيع اللحوم بعد الصيد. كما تدعم أدوات الصوان التي تركوها في الموقع هذه الفرضية (شكل 8). تتميّز مجموعة الأدوات في موقع مصب جدول محنايم عن جميع المواقع من ذات الفترة في بلاد الشام. وتتميّز الأدوات الغالبة في المجموعة بأنها حادّة للقطع (مثلثات ذات رأس حربة) وسكاكين (شفرات الصوان ذات طرف حاد وطويل نسبيًا، وربما استخدمت لتقطيع اللحوم). من ناحية أخرى، يبرز نقص في أنواع أخرى من الأدوات، والتي تنتشر بكثرة في التجمعات الأخرى من العصر الحجري الأوسط. للتمليس، للكشط، للتثليم، للثقب، وغيرها من الأدوات التي تظهر بانتشار طفيف جدًا في المجموعة أو تغيب عنها تمامًا (شكل 9). والسبب كما يبدو هم الصيادون الذين عملوا في موقع جدول محنايم بالصيد وتقطيع اللحوم، وليس بمجموعة كاملة من الأنشطة الأخرى مثل العمل بالجلود والدباغة، والعمل بالعظام، وأعمال النجارة وغيرها كما هو الحال في مواقع أخرى.

نستنتج من ذلك أن جدول محنايم هو موقع خاص بالمهام (Task specific) ويوثق نشاطا واحدًا فقط: صيد وتقطيع الحيوانات



شكل 8 -ادواة صوانية من الموقع الموستيري



شكل 9 -ادواة صوانية صغيرة

الضخمة. تشير الشهادات أيضًا إلى فترة النشاط القصيرة في الموقع. حفظت الأدوات والأخشاب والعظام في الموقع بدرجة نادرة من الحفظ، ومن الواضح أنها لم تتعرض للهواء لفترة طويلة. وقد غاص بعضها في الوحل ودُفنت على الفور، ومن الواضح أنهم غطّوا الموقع بالتربة المشبعة بالمياه، فأضحت وحلا بعد وقت قصير من انتهاء النشاط. وهذا يعني أن الموقع يمثّل حدثًا قصيرًا للغاية، بينما يمكن تقدير مدة هذا الحدث بأيام معدودة. في الواقع، يبدو أن هذه سلسلة من الأحداث القليلة حيث كان الصيادون يخيّمون لفترة وجيزة في الموقع، وخلّفوا وراءهم الأدوات والعظام. تمت تغطية ما تبقى بالطين، وربما يرجع ذلك إلى ارتفاع منسوب مياه البحيرة، وعندما عاد الصيادون إلى نفس البقعة خيّموا في الطبقة الأعلى، ومرة أخرى تركوا أثرًا وراءهم، وتمّ تغطية هذه مرة أخرى. يبدو أن طبقات الموقع موثقة في ثلاثة أو أربعة أحداث موجزة كهذه، ربما نوع من رحلات الصيد التي انطلقت إلى ضفاف البحيرة. ومن الصعب تقدير المدة التي مرّت بين الأحداث المختلفة، فربما أشهر أو حتى سنوات عديدة.

ومن هنا تفرّد الموقع في جدول محنايم. معظم المواقع في المشرق هي مواقع الكهوف التي تعرض تسلسلا زمنيًا طويلا بالآلاف، وأحيانًا عشرات آلاف السنين، من النشاط الذي استخدم فيه الموقع، لمجموعة متنوعة من الأنشطة. يسجل مصدر جدول محنايم لحظة قصيرة (قد تقاس بأيام قليلة) في حياة الصيادين القدماء ونشاط واحد: الصيد والتقطيع. إن الطبيعة الفريدة للموقع تتيح لنا دقة عالية في البحث وفهم التفاصيل التي عادة ما تختلط في ثراء المواقع الكبيرة والتي توثّق تسلسلا زمنيًا طويلا.

العصر الحجري القديم النهائي موقع – دريجات الأردن (JRD)

تم اكتشاف هذا الموقع لأول مرة في مسح سابق لأعمال الصرف في عام 1999. يقع الموضع على الضفة الشرقية لنهر الأردن، على بعد 1.5 كيلومتر شمال جسر بنات يعقوب. على ضفة نهر الأردن في منطقة منابع جدول دريجات، كشفت طبقات غنية من أدوات الصوّان والعظام وبقايا النبات وغيرها من الاكتشافات الأثرية. أجريت في الموقع حفرية تجريبية محددة عام 2002 وفي خريف عام 2014، أجريت حفرية أكثر شمولا من أجل تعيين حدود الموقع، وتقييم إمكاناته للأبحاث المستقبلية. وكشفت الحفريتان عن أن هذا الموقع متعدد الطبقات، غني بالاكتشافات وبإمكانات للبحث.

أسفر موقع الدريجات الأردنية عن كثير من النتائج، خاصة بالنظر إلى المساحة المحدودة من الحفريات الأثرية. استنادًا إلى أدوات الصوان الموجودة في الموقع، يبدو أنه يمكن إرجاع ما تضمنه الموقع إلى حضارة الكبّارة. تم تعريف حضارة الكبّارة وفقًا لمجموعة الأدوات الحجرية من كهف كبّارة في الكرمل الغربي. وعاش صانعو الأوعية الكبّارية في أرض إسرائيل في نهاية العصر الجليدي الأخير، عندما بدأ مناخ البحر المتوسط يسخن تدريجيًا، وذلك لأن كمية الأمطار تناقصت. لا يُعرف سوى القليل عن مجموعات الصيادين الكبّاريين في وادي الحولة. تمّ حفر أدوات من تلك الفترة في منطقة محدودة جدًا في بئر عنان وكفار غلعادي، ولكن من الصعب الاستنتاج من هذا بأنه يتجاوز الوجود البشري في المنطقة خلال فترة العصر الحجري القديم الأول. لذلك فإن موقع دريجات الأردن يتّسم بأهمية كبيرة جدًا لكشف طريقة حياة آخر الصيادين في المنطقة، قبل آلاف السنين من السكن الدائم في المواقع المرويّة مثل عنان.

ظهرت عدة حصى من الحجر الجيري على جانبي الشقّ في موقع دريجات الأردن (شكل 10). ربما كانت هذه أثقال استخدمت في شباك الصيد، وعُثر على أمثالها في موقع أوهالو الثاني على بحيرة طبريا. في الموقع مجموعة متنوعة من الحيوانات التي تنقّلت في منطقة واسعة، كانت من الأبقار والغزلان والأيائل وحتى السرطانات والسلاحف. حدّدت المرحومة الدكتورة شوش اشكنازي أكثر من خمسة وأربعين نوعًا من الرخويات في الدريجات الأردني (حفر متر مربع واحد فقط). هذا عدد هائل من الأنواع التي يمكن أن تعلّمنا عن الظروف البيئية والمناخية وملوحة المياه وسواها. لا يزال بعض



شكل 10 -كمية كبيرة من الاصداف

هذه الأنواع يعيش إلى اليوم على ضفاف نهر الأردن، مثل شحارير الجداول الشائعة، ولكن بعض هذه الأنواع انقرضت منذ سنوات عديدة، ويبدو أن نوعًا جديدًا فقط تمّ التعرف عليه علميًا.

ملاحظات إجمالية - تحديات الصيانة لمواقع نهر الأردن

تحتوي شواطئ نهر الأردن، في القسم الواقع بين جسر السداد وحصن عثرة، على عدد من أهم المواقع في العالم لما قبل التاريخ. صدع الأردن هو الطريق الرئيسي الذي سافر به الإنسان من أفريقيا في طريقه إلى أورو- آسيا منذ أكثر من مليون سنة. تشكل مواقع نهر الأردن الأعلى معالم بارزة في دراسة التطور البشري وحضارته. تتعرض هذه الثروة الثقافية لخطر دائم بسبب ضغوط التطوير والبيئة. على الرغم من أن نهر الأردن جنوب جسر بنات يعقوب، اعتبارًا من يناير 2015، يعتبر محمية طبيعية، إلا أن ضفاف نهر الأردن شمال جسر بنات يعقوب غير محمية.

هذا واحد من المواقع القليلة في إسرائيل حيث يسمح بالتخييم مجانًا على ضفة الأردن. وتجرى العديد من المشاريع السياحية في المنطقة، بدءً من التجديف بالزوارق وانتهاءً برحلات سيارات الجيب والقيادة في الطرق الوعرة. يعدّ الجيش الإسرائيلي نقاط اجتياز وجَسر في المنطقة، كما أن المزارعين يزرعون مساحات على طول الأردن. والمزارعون أيضًا من أهمّ العوامل في سياسة التصريف في المنطقة، إذ أن «سداد البازلت» يؤثر على تدفق المياه في الأردن وإغراق الأراضي الزراعية في سهل الحولة. والهيئة المسؤولة عن مراقبة النهر والجادات هي هيئة الصرف في بحيرة طبريا. ومن أجل التوافق بين جميع العوامل المذكورة أعلاه ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الكنوز الثقافية والتراثية الأثرية الكامنة في ضفاف الأردن. ومن الجدير بالذكر، على سبيل المثال، أن جميع الإجراءات التي تقلل من مستوى المياه في الأردن تؤدي إلى جفاف الضفتين، وفقدان كل الآثار النباتية النادرة والفريدة. المواقع الأثرية في ضفة النهر لا تحظى اليوم بالصيانة والحماية التي تستحقّها. ومن البديهي أن ثمة ضرورة لتنظيم المراقبة والصرف مع الاعتبار لكافة الجهات العاملة على طول الأردن، وبالطبع اعتبار النسيج البيئي الحسّاس للمنطقة الفريدة من نوعها.

آمل أن هذه المقالة كانت قادرة على تسليط الضوء على جزء صغير من المواقع الرئيسية في تراث الحضارة البشرية الكائنة على ضفة النهر وتشير إلى الحاجة الملحّة للحفاظ عليها للأجيال القادمة.

مختبر سلطة الآثار لتحليل مصادر الطين الفخاري (البتروغرافي)

د. عنات كوهين واينبرغر – سلطة الأثار

ترجمة د. حمودي خلايلة



شكل 1 -شرائح رقيقة

موضوع تحليل مصادر الطين الفخاري (البتروغرافي) هو أحد الفروع المتقدّمة في العلوم الطبيعية، وهدفه رصد وتحديد نوع معادن الصخور الموجودة في الطين الفخاري. وتستخدم هذه التقنية أيضًا للتعرف على مكونات الطين الذي يستعمل لتصنيع الأواني الفخارية، التماثيل، الطوب، الألواح الطينية المنقوشة وقطع فنية اخرى.

تنطوي عملية التحليل على عدّة مراحل، منها تحضير شرائح رقيقة من المواد التي يجري دراستها، وهي شريحة سمكها 0.03 ملم، تثبت بواسطة الغراء على شريحة المجهر الزجاجية (شكل 1).

بعد تثبيت الشريحة تفحص بواسطة مجهر مستقطب ذات فلترين، يركزان على زوايا مستقطبة لتركيز الضوء على الشريحة ومنع تبعثرها (شكل 2).

إن العيّنة التي تحتوي على المعادن قد تؤدي إلى انحراف الضوء بحيث تكون مرئيّة خلال الضوء المستقطب. ثمّة أهمية كبيرة لتحديد زاوية الانحراف، في تحديد ومعرفة العناصر المعدنية المركبة للطين، المكون الرئيسي لصناعة الفخار.

المواد المعدنية المركبة للطين صغيرة جدًا ولا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة أو بشكل فردي في المجهر المستقطب، وبالتالي لا يمكن تحديدها باللائحة المعدنية. ومع ذلك، من الممكن تمييز العديد من المركبات الهامة مثل السيلت والرمال وشظايا الصخور المعروفة أيضا «بالشوائب»، وهي من المكونات الأكثر شيوعا في عجينة الفخار، التي تتواجد بشكل طبيعي في الرواسب الطينية المستخدمة، ولكن غالبا ما يضيفها الخزّافون عمدًا لتعديل خصائص الطين. استخدام المجهر في هذه الحالة يساعد على تحديد عناصر إضافية من مركّبات عجينة الفخار، مثل الكائنات الحية الميكروسكوبية والمواد العضوية.

التعرف على جميع المكونات (المركبات) المعدنية لعجينة الفخّار، له أهمية كبيرة بتحديد المصادر الجيولوجية لمركبات الطين، وبالأخص شظايا الصخور المستخدمه به. يتم الحصول على المعلومات بعرض الشرائح الرقيقة تحت المجهر، من أجل الإجابة على أسئلة الأثريين التي تتعلق بمصدر الفخار وتقنية تصنيعه.

تستند تقنية تحليل المعادن الطينية على الافتراض بأن الخزافين القدماء كانوا يستخدمون مصادر محلية للطين، والذي من شأنه، بالتالي، أن يعكس جيولوجية المنطقة المحيطة لموقع الإنتاج، ولذلك، يتم الاستعيان بالخرائط الجيولوجية، والمراجع المكتوبة لتحديد هذه المواقع. إن البحث البتروغرافي يُظهر الطرق التي اتّبعها الخزافون لاختيار واستخدام المواد المتوفرة، ويتيح الفرصة أمام علماء الآثار تحديد أماكن إنتاج الادوات الفخارية، التي عثر عليها في الحفريات وأماكن إنتاجها، سوءا محليًا أو مستوردة. بالمقابل، يمكن استخدام هذا النوع من المعلومات، بالإضافة إلى



شكل 2 -مجهر مستقطب ذا فلترين



شكل 3 -الشرائح الرقيقة - بنك معلومات للمقارنة من معظم المواقع الاثرية الرئيسية

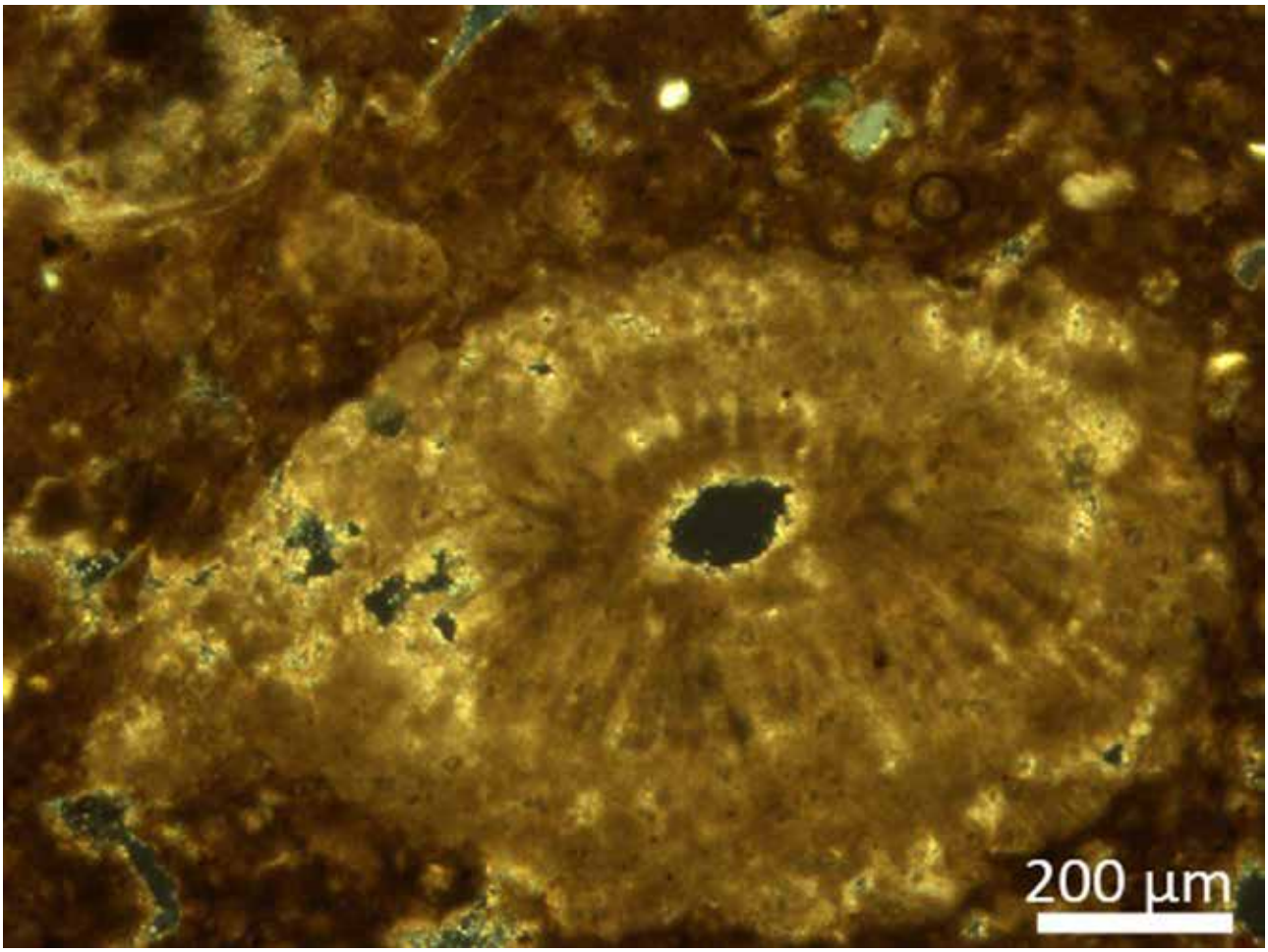
أدلة أخرى لبناء استنتاجات حول أنماط الاستيطان، وطرق تنقل المجموعات السكانية أو الأفراد، والعلاقات الاجتماعية أو شبكات التجارة. بالإضافة إلى ذلك، يساعد البحث البتروغرافي بالإجابة عن أسئلة تقنية مثل طرق تحضير الأواني الفخارية (على سبيل المثال، بواسطة الأيدي أو بواسطة الدولاب) وكذلك تحديد درجة الحرارة التي استخدمت في شوي الأواني الفخارية.

المختبر البتروغرافي التابع لسلطة الآثار الإسرائيلية يجري التحاليل للمركبات المعدنية ولقطع الفخّار وغيرها من الأشكال المصنوعة من الطين منذ عام 1990. بالإضافة إلى ذلك، يحتوي المختبر على مجموعة متنوعة من الشرائح الرقيقة، كمخزن معلومات للمقارنة من معظم المواقع الأثرية الرئيسية في البلاد (شكل 3).

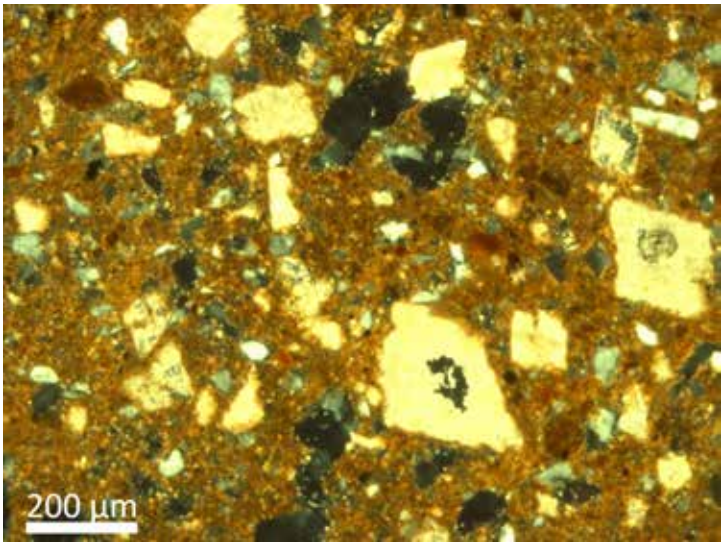
تتضمن هذه الشرائح عينات طين من مواقع الإنتاج المختلفة، وتكون بمثابة مرجع للمواد الخام المحلية. وبالإضافة إلى ذلك، تحوي هذه المجموعة على رقائق لعيّنات من مواد خام متنوعة، أخذت من مواقع ظهر فيها طين طبيعي. يتم تحضير قوالب صغيرة من هذا الطين الذي أخذ من المصادر الجيولوجية، وبعد تجفيفها تحرق في فرن الفخار. ثم يتم إعداد شرائح رقيقة من كل قالب وتفحص تحت المجهر، لتحديد مواصفاتها، ثم تدوّن بالسجلات للمقارنة مع الشرائح الأثرية. المختبر البتروغرافي التابع لسلطة الآثار الإسرائيلية يرتبط بعلاقات علمية مع زملاء له من معاهد بحوث، جامعات وبعثات أثرية أخرى.

في النهاية نقدم لكم مثالين من الأبحاث التي أجريت في مختبر البتروغرافي لسلطة الآثار:

1) الحفريات الأخيرة في المنحدرات الشرقية لمدينة داود (سلوان) أسفرت عن اكتشاف عدد من القطع الفخارية المزينة من الأسلوب المكنّى (LPDW Late Philistine Decorated Ware) والذي يعود إلى فترة الانتقال بين العصر الفلسطيني المتأخر وبداية العصر الحديدي. ساد الاعتقاد بأن هذه المجموعة من الأواني جاءت من بلاد الفلسطينيين، حيث أعتبرت رمزًا عرقيًا للثقافة الفلسطينية القديمة. التحليل البتروغرافي الذي أجري على هذه القطع وعلى الأواني الأخرى، ليست مزخرفة من هذه الحفريات، أثبت بأن بعض الاواني ذات الأسلوب المكنّى LPDW أنتجت في بلاد الفلسطينيين، والأخرى أنتجت في القدس أو أنها جاءت مباشرة من ورشات إنتاج مجاورة للموقع (شكل 4). يشير هذا الاكتشاف إلى أن عاصمة يهودا أقامت علاقات تجارية وثقافية مع بلاد الفلسطينيين، على العكس الوصف الذي جاء في التوراة وعلى وجه الخصوص، في أسفار



شكل 4 -قطع فخارية مزينة بأسلوب مكنّى



شكل 5 -اواني فخارية مصنعة على الطريقة المصرية

القضاة، صموئيل والملوك، والذي يروي عن صراع عنيف كان بين الدولتين. علاقات إضافية توضحت من خلال التحليل البتروغرافي للأواني الشائعة في حفريات القدس، مثل الصحون وقدور الطهي، والتي يفترض أن تكون محلّية الصنع، فتبيّن أنها مستوردة أيضا. ومنشأ هذه الاواني هو السهل الساحلي ومنخفضات يهودا. التحليلات هذه تشير إلى مدى ظاهرة التداول والاستيراد للأواني الفخارية إلى موقع مدينة داود.

2) المثال الثاني هو من تل بيسان الذي كان مركزًا إداريًا وعسكريًا للفراعنة المصريين خلال عصر الرعامسة (السلالات الثامن عشروالعشرين). وقد عثرفي حفريات بيسان على مجموعة من الأواني الفخارية المصنّعة على الطريقة المصرية، نتائج التحليل البتروغرافي تشير إلى أن الطين الذي صنعت منه معظم هذه الاواني غنيّ برماد بركاني (التوف) ويحوي أيضا على شظايا حجر ترسّبي (شكل 5). الرماد البركاني والصخور الترسّيبة هي من الخصائص الصخرية لوادي بيسان، مما استنتج بأن معظم الأواني التي أعتقد بأنها مصرية هي محلية الصنع، وفقط مجموعة قليلة من الأدوات تمّ استيرادها من مصر لأن الطين الذي صنعت منه احتوى على ترسّبات من نهر النيل.



shimur@netvision.net.il
www.shimur.org.il

The Israel Antiquities Authority Petrographic Laboratory

Anat Cohen-Weinberger

Petrographic analysis is a technique developed in the earth-sciences for observing and identifying rocks and minerals. It involves creating a 'thin-section' of the material being studied, which is a thin slice 30μm thick. Once the thin-section is made, it is viewed through a polarizing microscope. The light interacts with the minerals in the thin section and produces optical effects that can be used for their identification. This information is then usually used to connect archaeological artifacts made of clay to their geological source areas, to identify both the clay as well as the rock fragments (usually called 'inclusions' or 'non-plastics') that can naturally occur in clayey sediment, but that is often deliberately added (called 'temper') by potters to modify the properties of the clay. This information can be used by archaeologists to answer questions concerning the provenance and technology of the pottery. Petrographic research provides insights into how potters selected and used local and non-local resources, and assists archaeologists in determining whether pottery found in a particular location was locally produced or arrived via trade from elsewhere. In turn, this kind of information together with other evidence can be used to make inferences about settlement patterns, group and individual mobility, social contacts or trade networks as well as to identify trends of specialization and centralization of production, which are powerful indicators of social hierarchy and economic organization. In addition, petrography can answer technological questions such as the temperature reached in the firing of the vessel and how it was constructed (e.g., by hand or on a wheel).

Since 1990, the petrographic laboratory of the Israel Antiquities Authority (IAA) runs petrographic studies of pottery and other clay objects. The material analyzed is mainly from the Levant and extends chronologically from the beginning of pottery production in the Neolithic period to medieval times. Our database includes a large collection of comparative thin sections from most of the key sites in Israel and includes samples from production sites. The IAA petrographic laboratory collaborates with colleagues from other research institutes, universities and excavation expeditions by means of contracts and financial arrangements.

Petrographic researchers: Dr. Anat Cohen-Weinberger, cohen@israntique.org.il;

Anastasia Shapiro, anastasia@israntique.org.il

The Prehistory of the Upper Jordan River—The First Million Years

Gonen Sharon

On its course south of the Ḥula Valley, the Jordan River cuts through sediments ranging in age from the Early Pleistocene to the Holocene. A combination of tectonic movements, volcanism, and massive drainage activity exposed a uniquely long archaeological sequence documenting nearly 1,000,000 years of human presence in this northern segment of the Dead Sea Rift Valley. The Ḥula Valley has always flourished with water and the sediments now exposed on the banks of the Jordan River have been covered by water since their accumulation, creating anaerobic conditions. These unique conditions resulted in exceptional preservation of organic remains, particularly botanic remains, such as pollen, wood, seeds and fruits. These remains hold important clues not only about prehistoric human subsistence strategies but also about the paleoclimate of the region. This paper describes current knowledge regarding the prehistory of the Jordan River by describing the latest finds from excavations of the important archaeological sites along the river. These sites include the key Acheulian site of Gesher Benot Ya'aqov (GBY), dated to c. 780,000 years before present (hereafter, BP), and nearby contemporary Acheulian locations, and the Middle Paleolithic hunting site of Naḥal Maḥanayim Outlet (NMO), dated to 60,000 years BP. Preliminary finds from the newly discovered Epipaleolithic site of Jordan River Dureijat (JRD) are also presented. JRD is a fishing site whose layers date from 10,000 to 20,000 years BP, a period of dramatic shift from nomadic hunter-gatherer groups to permanent settlement. The Jordan River prehistoric sites are among the most important sites in the prehistory of the Middle East and are under constant threat from drainage and development works. The aim of the paper is to rouse awareness of these unique sites, their contribution to our cultural heritage, and the .importance of their preservation and protection

The Late-Roman Period Manor at Lod: The Magnificent Mosaics Discovered during the 1996–2014

Amir Gorzalczany

The Lod Mosaic was unearthed in 1996 during a routine archaeological inspection of infrastructure works in Ha-Halutz Street and the subsequent salvage excavation in the city of Lod. After a decision was made to build a museum over the mosaic site, the mosaic was carefully removed and was sent for exhibit on an ongoing worldwide tour among the world's most prominent museums. Few Israeli archaeological exhibitions received such astounding international attention. After the initial discovery of the mosaic by the late Miriam Avisar, Amir Gorzalczany was appointed by the IAA to head the excavations at the site of the future museum. This paper presents the luxurious villa that existed at the site during the Late Roman period (third–fourth centuries CE). The luxurious mosaic decorated the .villa's lounge, while another impressive mosaic paved the floor of a peristylium to its south

The finds testify to the wealth of the residents of this urban villa, attested by the superb quality of the mosaic, made to the finest standards that combined rare and precious raw materials. The study of the mosaic led to exceptional conclusions regarding the techniques employed in its making and the artistic schools from which the artisans drew their inspiration. The author concludes that the villa housing these mosaics was part of a luxurious domestic quarter during that period. In addition to the villa and its mosaics, the site yielded finds ranging from the Second Temple period to the twentieth .century CE

The Shaman of the Lower Galilee

Lior Grossman

The Natufians of the southern Levant (15,000–11,500 cal BP) underwent pronounced socioeconomic change associated with the onset of sedentism and the shift from a foraging to a farming lifestyle. Excavations at the 12,000-year-old Natufian cave site, Hilazon Taḥtit (Israel), have revealed a unique grave that provides a rare opportunity to investigate the ideological shifts that must have accompanied these socioeconomic changes. The grave was constructed and specifically arranged for a petite, elderly, and disabled woman, who was accompanied by exceptional grave offerings. The grave goods comprise 90 tortoise shells, and select body-parts of a pig, an eagle, a cow, leopard pelvis and two martens, as well as a complete human foot. The high quality of preservation and recovery of this well-preserved grave enables the identification of multiple stages of a funerary ritual. These represent a variety of actions that allow glimpses into ritual performance. The interment rituals and the method used to construct and seal the grave suggest that this is the burial of a shaman, one of the earliest known from the archaeological record. Several attributes of this burial later become central in the spiritual arena of human cultures worldwide.

Churches and Monasteries in the Byzantine and Early Islamic Periods in the city of Besan (Nysa-Scythopolis)

Walid Atrash and Gabriel Mazor

The wide-scale excavations conducted in Bet She'an (Nysa-Scythopolis, Besan) during 1986–2001 revealed significant aspects of the city's religious and cultural nature and ethnic heterogeneity, shedding light on the complex evolution that the Greco-Roman provincial capital underwent during the Christian era and its transformation during the Umayyad period.

Nysa-Scythopolis was a monastic city, in which eight monasteries were constructed. A considerable number of its appointed bishops came from the ranks of the monastic movement, and thereby shaped the religious, political, economic and social aspects of daily life of the polis.

Cyril of Scythopolis (525–559 CE), hagiographer of the monks of the Judean Desert describes monastic life in Vita Euthymius and Vita Sabas. In the latter, Cyril describes the visits of the venerated monk Sabas to Nysa-Scythopolis on two occasions (518, 531 CE), mentioning several ecclesiastic complexes such as the Apostolic Shrine of St. Thomas, the Old Church, the Monastery called Enthemaneith, the Church of St. John, and the Monastery of the Holy Martyr Procopius. Vita Euthymius mentions the Chapel of the Holy Martyr Basil in the Old Church as well. Most of those ecclesiastic complexes, seemingly monastic, can be positively identified based on earlier and recent excavations and surveys conducted within and around the city.

Greek Mercenaries in 'Akko at the End of the Persian Period

Amani Abu Hamid

In 2006, a trial excavation was conducted north of Tel 'Akko, 'Area R', located about 450 m north of Tel 'Akko and c. 2 km east of the coast, prior to the widening of the railway tracks. The excavation, undertaken on behalf of the Israel Antiquities Authority and directed by Amani Abu Hamid and Hanaa Abu Uqsa-Aboud, revealed the remains of an unusual unique construction technique that incorporated jars and amphorae as building material, an indication of the adoption of foreign practices. Inside the buildings were bowls, mortaria, Athic vessels, Phoenician jars, Aegean amphorae, basket handles and stamped amphorae handles, cooking pots, coins and animal bones. The clay material of most of the imported ceramics derives from the Aegean region and these ceramics date to the end of the fifth–first half of the fourth centuries BCE. This suggests that the inhabitants were likely Greek Phoenician mercenaries. Textual evidence describes the Persian military campaigns to Egypt, and the Greek mercenaries who served under the Persians in the conquest of Egypt and the suppressing of Egyptian rebellions. During this period, 'Akko is mentioned by Diodorus Siculus within the context of the rebellions. The town apparently served as one of the bases of the Persian army. The finds from the excavation north of Tel 'Akko might assist in locating the site of this Persian army base.

From Caravanserai to a Tourism and Educational Center

Beit Shamai in Kfar Kama

Zuhair Thawcho

Beit Shamai, one of the most impressive buildings in Kfar Kama, has undergone a lengthy and complex process of conservation by the Council for the Conservation of Heritage Sites in Israel. Over the past few years, it has served as the Circassian Heritage Center, drawing hundreds of visitors annually to experience Circassian culture. The site is a leader in the trend of conservation and dissemination of Circassian culture throughout the world and operates as a first-class educational heritage site.

Soldiers' Graves in Mamluk Yafo (Jaffa)

Yossi Nagar and Yoav Arbel

The skeletal remains of 48 individuals were recently found in four adjoining sites at the center of modern Yafo. The burial sites are part of a single graveyard from the Mamluk period, a time when Yafo was largely abandoned. The excavated sample is represented almost exclusively by adult males, in contrast with the gender balance and age proportions in civilian cemeteries. Based on the combined analysis of historical and archaeological data, we suggest that the cemetery served guards of the Mamluk unit stationed in the fortified towers overlooking the harbor, who were the only permanent inhabitants of Yafo at that time. The presence of the guards is familiar from textual and illustrated historical sources, but the cemetery is the first archaeological evidence to be found of their existence.

A Fortified Entrance to the Holy Land: The 'Jerusalem Gate'

of Ottoman Jaffa

Yoav Arbel and Lior Rauchberger

The Jerusalem or Abū Nabūt Gate was one of the best known features of Jaffa's fortifications during the late Ottoman period. Israel Antiquities Authority salvage excavations in 2011 exposed important elements relating to the gate. Studied together with cartographic, historical, art historical, and photographic records, the gate can be thoroughly described for the first time.

Deir Hanna

Amir Mazarib and Kamil Sari

Deir Hanna is a village located in Lower Galilee, about 6 km east of Sakhnin and south of Karmiel, with a population of 10,200 inhabitants. The origin of the name Deir Hanna is unknown, but some scholars suggest that it could refer to a monastery that existed in the village during the Byzantine period (deir in Arabic: monastery), or a church named after Hanna, mother of St. Mary. During the Crusader period, the village was known as Der Henne. In the Ottoman period, the village grew in importance, becoming one of the most important villages in the district of ʻAkko for the ruler Zahir al-ʻUmar.

Deir Hanna was mentioned by Victor Guérin during the nineteenth century as a village with that had the ruins of an ancient settlement. In 1997, the first archaeological excavations began, on behalf of the Israel Antiquities Authority. The excavations revealed that the site was first settled in the Persian period (fifth century BCE) and corroborated the date of the city wall to the time of Zahir al-ʻUmar (eighteenth century CE).

Visible ruins in the village are the fortress built during the eighteenth century by Saʻd el-Omar (brother of Zahir al-ʻUmar), in the southwestern part of the village. In 1746, a mosque, built in Ottoman style, was added to the building. In the village center on top of the hill, the ruins of a palace from the same period are visible. The palace is comprised of reception halls in various sizes and the living quarters. The palace was apparently built in several stages during the eighteenth century CE.

Al Khan and the Mujama'a Bridge

Walid Atrash and Ilan Fahima

Khan al-Mujama'a Bridge is located on the west bank of the Jordan River on the outskirts of old Kibbutz Gesher. The bridge, about 9 km south of Lake Tiberias and 14 km north of Bisan, was built at the beginning of the fourteenth century CE in an important position between the two banks of the Jordan River, which is a relatively convenient crossing point with a narrow view of the river.

In 1904, after the construction of the Hijaz Railway, the Customs Office was built on the remains of the Al Khan walls. In 1934, Kibbutz Gesher was founded, and some of its buildings were built on the remains of the Khan, reusing many of its walls. In the late 1960s an earthquake struck the area, causing damage to the Khan and the bridges.

During 2003, the directors of the old Geisha site approached the Israel Antiquities Authority with an initiative to save the bridge from collapsing. At that time, Shuka Dorfman, then Director General of the Israel Antiquities Authority, had initiated a unique project aimed at preserving and maintaining the old bridge. In 2011, experts from Jordan, Italy and Israel collaborated to complete the project.

Cornerstone

Magazine to ancient and heritage sites

Vol. 2 December 2018 – Jerusalem

Editor: **Walid Atrash**

Contents

Deir Hanna I

Amir Mazarib and Kamil Sari

Al Khan and the Mujama'a Bridge I

Walid Atrash and Ilan Fahima

From Caravanserai to a Tourism and Educational Center

Beit Shamai in Kfar Kama II

Zuhair Thawcho

Soldiers' Graves in Mamluk Yafo (Jaffa) II

Yossi Nagar and Yoav Arbel

A Fortified Entrance to the Holy Land: The 'Jerusalem Gate' II

Yoav Arbel and Lior Rauchberger

Churches and Monasteries in the Byzantine and Early Islamic

Periods in the city of Besan (Nysa-Scythopolis) III

Walid Atrash and Gabriel Mazor

Greek Mercenaries in 'Akko at the End of the Persian Period III

Amani Abu Hamid

The Late-Roman Period Manor at Lod: The Magnificent

Mosaics Discovered during the 1996–2014 IV

Amir Gorzalczany

The Shaman of the Lower Galilee IV

Lior Grossman

The Prehistory of the Upper Jordan River—The First Million Years V

Gonen Sharon

The Israel Antiquities Authority Petrographic Laboratory VI

Anat Cohen-Weinberger

Cornerstone
Journal of Archaeological Sites

Editor: Walid Atrash

Arabic Editor: Shukri ʻArraf

English Editor: Rachel Kudish-Vashdi

Editorial Coordinator: Hanaa Aboud

Editorial Board: Hamudi Khalaily
Kamil Sari
Rafeh Abu Raya
Anan 'Azab
Amir Mazarib
Adit Meidan

Cover Illustrations:
Arabic: Beit Shamai in Kafr Kama, Khan and an educational tourist center (Photography: Zuhair Thawcho)
English: Beth Shean, Church of Lady Maria, mosaic of the Zodiac (Photography: Walid Atrash, IAA)

Typist: Ranen Farran

Typesetting, Layout and Production: Walid Atrash

Printing: Abu Rahmon Akko

© 2018, The Israel Antiquities Authority
POB 586, Jerusalem 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 2 • December 2018

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 2 • December 2018



المجلس لحفظ المواقع التراثية
The Council for Conservation of Heritage Sites

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY